



**جامعة وهران 2 محمد بن أحمد**  
**University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed**

**كلية العلوم الاجتماعية**  
**قسم علم النفس و الأطفونيا**

**سند بيداغوجي موجه لطلبة السنة الأولى ، خاص بمقياس:**  
**مدارس ومناهج**

**إعداد الأستاذ:**

**بن سعيد زمعلاش لوري عبد القادر**

**السنة الجامعية 2022-2023**

## فهرس

- 1- تعريف المنهج العلمي: ..... - 1 -
- 2- أهمية المنهج العلمي: ..... - 2 -
- 3- العمليات الأساسية في المنهج العلمي: ..... - 4 -
- 1-3- الاستقراء أو الاستدلال الاستقرائي: ..... - 4 -
- 2-3- الإستنباط: ..... - 4 -
- 3-3- التجريب: ..... - 5 -
- 4-3- التصنيف: ..... - 5 -
- 5-3- التفسير: ..... - 6 -
- 6-3- التجريد : ..... - 6 -
- 7-3- التحليل: ..... - 7 -
- 1-7-3- أهمية التحليل في المنهج العلمي: ..... - 7 -
- 8-3- التركيب : ..... - 8 -
- 9-3- التصور: ..... - 8 -
- 4- العناصر الأساسية في المنهج العلمي: ..... - 9 -
- 1-4- المبادئ: ..... - 9 -
- 1-1-4- مبدأ المنطقية أو المنطق: ..... - 9 -
- 2-1-4- مبدأ السببية: ..... - 9 -
- 3-1-4- مبدأ الحتمية: ..... - 9 -
- 4-1-4- مبدأ النسبية : ..... - 10 -
- 2-4- المراحل: ..... - 10 -
- ب. إعداد استراتيجية البحث: ..... - 10 -

- ج. جمع البيانات و تحليلها : ..... - 10
- د. صياغة النتائج : ..... - 10
- ه. المناقشة: ..... - 11
- و. الاستنتاج: ..... - 11
- ي. كتابة التقرير النهائي: ..... - 11
- 3-4- الأدوات : ..... - 11
- 3-4-1- الملاحظة : ..... - 11
- 3-4-2- المقابلة: ..... - 14
- 3-4-3- الإختبار: ..... - 15
- 3-4-4- الإستبيان: ..... - 16
- 3-4-5- التجريب أو فحص الفرضيات : ..... - 17
- 5- خطوات المنهج العلمي: ..... - 17
- أ. الحياد: ..... - 18
- ب. أخذ حالات الفشل بعين الاعتبار: ..... - 18
- ج. الشك: ..... - 18
- د. علاقة التجربة الميدانية بالنظرية: ..... - 19
- د- تحليل النتائج : ..... - 23
- ه- تفسير النتائج: ..... - 23
- و- صياغة استنتاج عام : ..... - 24
- 6- مراحل تكوّن المنهج العلمي: ..... - 24
- 1-6 في العصور القديمة: ..... - 25
- 2-6 في العصور الوسطى: ..... - 30
- 1-2-6 المنهج العلمي في العالم الإسلامي: ..... - 30

- 2-2-6 المنهج العلمي في أوروبا: ..... - 31 -
- 3-6 في العصر الحديث: ..... - 32 -
- 7- الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي في مجال العلوم الاجتماعية و الإنسانية : ..... - 35 -
- عبد الرحمن ابن خلدون (1332م-1406م): ..... - 35 -
- فيكو - Gianbatista Vico (1668م-1774م): ..... - 38 -
- أوغست كونت (1798م-1857م): ..... - 39 -
- إميل دوركايم (1858م-1917م) : ..... - 41 -
- 8- المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية و الإنسانية: ..... - 43 -
- 9- مقارنة بين العلوم الاجتماعية و الإنسانية من جهة ,وبين العلوم الطبيعية من جهة أخرى: ..... - 43 -
- موضوع البحث في العلوم الاجتماعية صعب الضبط : ..... - 43 -
- الملاحظة في العلوم الإجتماعية تحتاج لمهارات خاصة: ..... - 44 -
- العلاقة بين الباحث و موضوع البحث (الظاهرة): ..... - 45 -
- 10- المناهج الكمية و المناهج الكيفية: ..... - 46 -
- 11- الموضوعية والذاتية ..... - 49 -
- 1-11 مفهوم الموضوعية: ..... - 49 -
- 2-11 الذاتية : ..... - 51 -
- 12- المدرسة الإسلامية : ..... - 54 -
- 12- 1 المدرسة المدنية: ..... - 55 -
- 12-2 مدرسة الإخباريين: ..... - 57 -
- 13- المدرسة الماركسية: ..... - 59 -
- تعريفها: ..... - 59 -
- 1-13 كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ: ..... - 61 -
- 2-13 مبادئ الماركسية: ..... - 61 -

- 3-13 إسهامات الماركسية: ..... - 62
- 4-13 ما يعاب على الماركسية: ..... - 63
- 14- المدرسة الوضعية: ..... - 64
- 1-14 أهم أفكارها: ..... - 64
- 2-14 وضعية العلم: ..... - 65
- 3-14 الوضعية الاجتماعية: ..... - 66
- 4-14 خصائص الفلسفة الوضعية: ..... - 67
- 5-14 الفلسفة الوضعية و علم الاجتماع: ..... - 68
- 6-14 الوضعية و العلوم الاجتماعية: ..... - 70
- 15- المدرسة البنيوية: ..... - 71
- تعريف البنيوية: ..... - 72
- 1-15 البنيوية و التاريخ: ..... - 78
- 2-15 إسهام البنيوية: ..... - 79
- 3-15 نقد البنيوية: ..... - 80
- 16- المدرسة الوظيفية: ..... - 81
- 1-16 الجذور التاريخية للوظيفية: ..... - 83
- 2-16 الوظيفية والمجتمع: ..... - 85
- 3-16 مبادئ الوظيفية: ..... - 85
- 4-1-6 إنتقاد المدرسة الوظيفية في علم النفس: ..... - 86

## 1- تعريف المنهج العلمي:

لا يخلو مصطلح "منهج" من الغموض كمفهوم، إستعماله بصيغة المفرد إنما هو للدلالة على طبيعته الثابتة بالنسبة لمختلف العلوم و الميادين. يشير "المنهج" كمفهوم إلى مجموع العمليات (العقلية، المعرفية....) التي يركز عليها تخصص معين (أو مجموعة من التخصصات) بغية فحص المعرفة المتوصل إليها.

إنطلاقاً من هذا، نرى أن المنهج هو عبارة عن مجموعة من القواعد المتبعة التي تتيح فهماً للواقع (مختلف الظواهر).

يشير مصطلح "المنهج العلمي" إذاً إلى مجموعة من القواعد، الطريق (المنهجية) المتبع الذي يسمح بالحصول على المعرفة العلمية (Angers, 2014)

المنهج العلمي هو نتاج فلسفة العلوم، وظيفته استبعاد كل ما له طبيعة ذاتية وكل ما لا يمث بصلة للمعرفة العلمية.

يمكن النظر لمفهوم "المنهج" من زوايا مختلفة تجعل حصره كمفهوم أمراً صعباً، فعلى صعيد عامّ مجرد، نجد أن المنهج عبارة عن وضعية فلسفية وظيفتها فهم العالم (مختلف الظواهر) اعتماداً على الإستقراء، على صعيد آخر أكثر تجريداً، يعرف المنهج بأنه الطريقة التي يفسر بها موضوع محلّ خلاف. أما على المستوى الملموس و الأكثر موضوعية نجد أن المنهج عبارة عن طريقة انتهاج و تنظيم البحث من خلال تصميم و تبني تصور واضح عن طريق الخوض في البحث، وقد يرتبط المنهج

بميدان أو مجال معين محكوم بلاإلتزام بخطوات و إجراءات خاصة، أي أن المنهج متعدد يخضع لخصوصية كل ميدان من ميادين العلم (Angers, 2014) مما سبق، نحوصل بأن المنهج العلمي هو الطريقة المنتهجة عن طريق خطوات معينة و محددة هدفا لإثراء المعرفة العلمية من خلال إنتاج معرفة جديدة و فحص تلك الموروثة (الموجودة).

## 2- أهمية المنهج العلمي:

كل باحث معرض للخطأ ما لم يراقب ذاتيته و هو في طريقه للإجابة عن مختلف القضايا، لذا فمسألة الذاتية في مقابل المنهج العلمي هي مسألة محورية يتحتم على الباحث مراعاتها (Robert & Perrier, 2006) المنهج العلمي كما ذكرنا هو أسلوب منهجي مستخدم في البحث العلمي. إذ يُعتبر أحد أهم الأدوات التي تساعد الباحثين والعلماء على فهم الظواهر على اختلاف طبيعتها في العالم من حولهم. تتجلى أهمية المنهج العلمي إجمالاً في النقاط التالية:

- توجيه البحث: المنهج العلمي يوجه البحث ويساعد الباحثين على وضع أسئلة بحثية دقيقة وتصميم دراسات للبحث عن إجابات على تلك الأسئلة.
- جمع البيانات: يساعد المنهج العلمي في تنظيم جمع البيانات والمعلومات بشكل منهجي ومنظم، مما يسهل تحليلها واستخدامها لاحقاً.
- التحليل الإحصائي: يستخدم المنهج العلمي الأساليب الإحصائية لتحليل البيانات واستخلاص النتائج الإحصائية، مما يجعل البحوث أكثر دقة وموثوقية.

- التحقق من النتائج: يعتمد المنهج العلمي على التحقق من النتائج وإعادة تكرار الدراسات لضمان صحة الاكتشافات العلمية.
- تطور المعرفة: يساهم المنهج العلمي في تطور المعرفة الإنسانية عبر الزمن من خلال توثيق ونشر الاكتشافات والنظريات الجديدة.
- مرجعية عالمية: يوفر المنهج العلمي للمجتمع العلمي مرجعية عالمية للتواصل وتبادل المعرفة، مما يساهم في تطور العلوم والتكنولوجيا.
- حل المشكلات: يمكن استخدام المنهج العلمي لحل مشكلات الحياة اليومية والمشكلات الكبرى التي تواجه المجتمعات، من خلال توجيه الجهود نحو البحث عن حلول فعّالة.
- التقدم التكنولوجي: يعزز المنهج العلمي التقدم التكنولوجي من خلال دعم البحوث والابتكارات التكنولوجية.
- منطقية الاستدلال: فالاستدلال، سواء كان استقرائياً أو استنتاجياً أو احتمالياً، يجب أن يكون واضحاً تماماً ويجب أن يخضع لقوانين المنطق (Tremblay & Perrier, 2006)

بشكل عام، يمكن القول أن المنهج العلمي يعدّ حجر الأساس في تطور العلوم والمعرفة الإنسانية وفي تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي. فهو إذاً عملية ديناميكية و نهج عقلاي يسمح بدراسة الظواهر والمشكلات التي يتعين حلها والحصول على إجابات دقيقة من خلال البحث و التمحيص. وتتميز هذه العملية بأنها منهجية وصارمة تؤدي إلى اكتساب معارف جديدة و كل ذلك من خلال الوصف

والشرح والفهم والتحكم والتنبؤ بالحقائق والظواهر والسلوك (Roger & Roland Raoul, 2000)

### 3- العمليات الأساسية في المنهج العلمي:

يستلزم المنهج العلمي شروطاً من الواجب على الباحث التمييز بها ، من جملة هذه الشروط و أهمّها قدرته و مهارته في بعض العمليات العقلية : الإستقراء و الإستنباط، التصور، الفهم، التحليل و التركيب، التجريب، التصنيف، التفسير، التجريد و الحكم.

### 3-1- الاستقراء أو الاستدلال الاستقرائي:

هو أحد أشكال الاستدلال و هو الاستدلال الذي ينتقل من الجزئي إلى الكلي. أي أنه الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعها، وهو الاستقراء الصوري الذي ذهب إليه أرسطو وحده وسمّاه القياس المقسّم أو الحكم على الكلي بما يوجد في بعض أجزائه، وهو الاستقراء القائم على التعميم (صورية، 2015)

كمثال يوضح ذلك، نقوم بسؤال طلبة داخل قلعة محاضرات عن جنسيتهم فتكون إجابة كل واحد منهم على أنه جزائري الجنسية (أي الأجزاء المكونة للكل -القاعة-) فيكون التعميم على أن جنسية طلبة تلك القاعة بأنهم جزائريون .

### 3-2- الإستنباط:

يعتمد الاستنباط المنطقي على مقدمات مؤدّية لنتائج، أي أن هذه الأخيرة مدرجة بالفعل في المقدمات، يتمّ الإنتقال من العامّ أو الكليّ إلى الخاصّ او الجزئيّ. وبهذا المعنى، فإن الاستنباط المنطقي لا ينتج معرفة جديدة، بمعنى أن المستنبط موجود

أصلا و بصفة بديهية في مقدّمته، وبالتالي فهي تحليلية؛ على العكس من ذلك، فإن الاستقراء يثري .

ومن جانبه، يشير "أوليفيه مارتن" إلى إن الاستقراء والاستنباط يعدان شكلين للاستدلال. يتوافق الاستقراء مع عملية تسمح لنا بالانتقال من الخاص (الحقائق المرصودة، الحالات الفردية، البيانات التجريبية، المواقف) إلى العام (قانون، نظرية، معرفة عامة). بينما يتوافق الاستنباط مع العملية العكسية التي تسمح لنا بالاستخلاص (الاستنتاج) .

### 3-3- التجريب:

هو إجراء علمي يتيح أو يساعد في التحكم في صحة الفرضية عن طريق اختبارات متكررة، يتم خلالها تعديل متغيرات موضوع البحث أو الدراسة واحدة تلو الأخرى من أجل ملاحظة التأثيرات الناجمة عن هذه التغيرات. يتميز التجريب بسلسلة من عمليات التحقق التي يتم تحديد شروطها بواسطة بروتوكول يمكن تكراره في نفس الظروف من قبل أي مجرب (باحث) ، وبالتالي فإنه يتميز - وهذا هو السبب الرئيسي لفعاليته - بالملاحظة المباشرة و الأمبيريقية (التجريبية) التي تعتمد إلى حد كبير على ثنائية "الملاحظة والوصف" (Gangloff, 2008)

### 3-4 - التصنيف:

يعني التصنيفُ التجميعُ، الترتيبُ والتنظيمُ بهدف القدرة على القيام بمقارنات أو تسويّات. ومن تم يتم تنظيم الحقائق التي تمت ملاحظتها ودراستها وتنظيمها وتجميعها تحت عناوين وفئات لفهمها بشكل أفضل (بدوي، 2020)

**3-5- التفسير:**

التفسير هو الإجابة على سؤال السببية "لماذا؟". يتيح التفسير سبب حدوث الظاهرة وكيفية تطورها . يسمح التفسير بتوضيح العلاقة بين الظواهر المختلفة وبضبط الظروف التي تسمح لمختلف الظواهر بالتجلي (Kouassi Roland & Guy Roger, 2000)

**3-6- التجريد :**

لا يعني التجريدُ في العلمِ التعارضُ بين المجرّد والملموس، فهما مفهومان مرتبطان حتى وإن اختلفا دلالةً. التجريد ابتعاد عن الواقع الملموس المستمدّ من حواسنا (التجريبية، الملاحظة) من أجل فهم وتفسير الظواهر المختلفة وبالتالي التمكن من صياغة إطار نظري. يمكن تعريف التجريد على أنه عملية عقلية بين التحليل/التصنيف بطريقة يكون فيها كل جزء من الكل ذا معنى وممثلاً للكل، التجريد هو وسيلة للانتقال من المجرد إلى الملموس أي وسيلة لإخراج الكامن الغامض لإعطائه معنى في سياق معين (Degand, 1988)

التجريد عند "شيرد" هو وظيفة من الوظائف العقلية العليا خاصةً بالإنسان، والتفكير المجرد هو تجرد واستخلاص علاقات من الأشياء المحسوسة واستخدام هذه العلاقات للوصول إلى تنظيمات أخرى أكثر تعقيداً .

**3-7-7- التحليل:**

يلعب التحليل دورًا بالغ الأهمية في منهج البحث العلمي. إنه ركيزة البحث العلمي إذ يهدف إلى فحص وتفسير البيانات والنتائج من أجل استخلاص استنتاجات قائمة على أدلة قوية. يتمثل التحليل في الأخذ من الكلي العام إلى الجزئي الخاص .

**3-7-7-1- أهمية التحليل في المنهج العلمي:**

**-جمع البيانات:** قبل البدء في التحليل، من الضروري جمع البيانات ذات الصلة. يمكن أن يتضمن ذلك ملاحظات، قياسات، تجارب، و استطلاعات، وذلك حسب ميدان البحث.

**-تنظيم البيانات:** يجب تنظيم البيانات المجمعة بشكل منهجي للسماح بالتحليل الفعّال. قد يشمل ذلك إنشاء جداول أو رسوم بيانية أو أشكال أخرى لتمثيل البيانات بصورة بصرية.

**-تفسير النتائج:** بمجرد أن تتم عملية التحليل، يقوم الباحثون بتفسير النتائج. يسعون لفهم ما تعنيه البيانات وصياغة فرضيات أو نظريات استنادًا إلى النتائج واستخلاص استنتاجات.

**-التحقق من الفرضيات:** غالبًا ما يقارن الباحثون نتائجهم بالفرضيات الأولية التي صاغوها في بداية البحث. يقومون بتقييم ما إذا كانت البيانات تدعم هذه الفرضيات أم تتعارض معها.

-المناقشة والتفكير النقدي: يناقش الباحثون تداعيات نتائجهم. يفكرون في الأثر الأوسع لنتائج بحوثهم

التحليل عمليّة حاسمة في منهج البحث العلمي حيث يساعد في تحويل المعطيات الخام إلى معلومات مفيدة لتيح اتخاذ قرارات صحيحة و منطقية استنادًا إلى أدلة تجريبية. فهو بهذا يسهم في بناء الاعتمادية والصدق لاكتشافات العلم ويعزز تقدم المعرفة في جميع مجالات البحث (Eugene , John , & Jeanne , 2011)

### 3-8- التّركيب :

التّركيب بناء عكس التّحليل، إذ يتم الانتقال خلاله من الجزء البسيط الصّحيح إلى الكلّ العامّ، يساعد التركيب كعملية عقلية على فهم أعمق للعالم من حولنا إضافة إلى القدرة على إيجاد علاقة بين مختلف معطيات البحث العلمي تحقيقا لهدف المنهج العلمي المتمثل في إنتاج معرفة علميّة .

### 3-9- التّصوّر:

التصوّر هو استحضار الشّيء في غيابه، أي تمثّل عقليّ لصورة الشّيء دون حكم كاستحضار صورة الانسان عند الحديث عنه من دون إعطاء أهمية للونه و طوله و شكله .... إلخ.

يمكن للتصوّر أن يكون بصريا ،معرفيا أو زمنيا ،فالبصري يكون بتمثّل صورة شيء ملموس و المعرفي يكون بتمثّل ذهني لأفكار و مفاهيم مجرّدة كالعدالة و العلم و الفضيلة ، أما التّصوّر الزّمني فيسمح للباحث بصفة خاصّة بتمثّل ذهني للأحداث عبر الزّمن و باستباق تطوّرها و مآلها (قطب و بن محمد، 1864)

يلعب التصور دورًا مهمًا في العديد من جوانب الحياة كحل المشكلات، واتخاذ القرارات، والإبداع، وتحليل الأمور، والتخطيط للمستقبل.

#### 4- العناصر الأساسية في المنهج العلمي:

##### 4-1- المبادئ:

4-1-1- مبدأ المنطقية أو المنطق: يقصد به منطقية الظواهر و منطقية الترابط و التفسير. والمنطق هنا يخضع لظروف البحث و معطياته يتماشى مع سياق ذلك ،فندرس المشكلة أو الظاهرة و تُفسَّرُ حسب طبيعتها (اجتماعية, نفسية، بيولوجية... إلخ).

4-1-2 - مبدأ السببية: يُنشئُ مبدأ السببية علاقةً سببية خطية بين الظواهر التي قد تبدو مختلفة و غير متشابهة. يسعى المنهج العلمي إلى إيجاد هذه السببية بين مختلف الظواهر المتكررة.

والسببية هي علاقة كرونولوجية بين عنصرين قد يختلفان أو يتشابهان في طبيعتهما ،تسمح بظهور أحدهما إذا ظهر العنصر الآخر.وبهذا فإن السببية تساعد الباحث في الوصول إلى التنبؤ استثمارا للجهد و الوقت.

4-1-3- مبدأ الحتمية: يرتبط مبدأ الحتمية بمبدأ السببية ، فإذا توفرت نفس الأسباب في نفس الظروف فالنتائج ستكون نفسها حتما لا تتغير ، وهذا ما يسهل للباحث التنبؤ بمآلات الظواهر.

**4-1-4 - مبدأ النسبية :** النسبيّ هو عكس المطلق الدائم ، فلا شيء في العلم مطلقاً ، فكلّ شيء نسبيّ من ناحية البعدين الزماني و المكاني. ما قد يكون ثابتاً و صحيحاً في مجتمع ما قد يبعد عن الصحة في مجتمع آخر، نفس الأمر بالنسبة للظواهر إذا نظرنا إليها زمانياً، فاحتمالية الخطأ و النقصان قائمة دائماً في العلم مهما كان ميدانه. إحتمالية القصور في النتائج و النظريات إذّا هي من تجعل من مبدأ النسبية مبدأً من مبادئ المنهج العلمي.

**4-2- المراحل:** تتضمن مراحل البحث العلمي الأساسية عدة خطوات تمكن الباحثين من تنفيذ البحث بشكل منهجي و منظم. نجمل هذه المراحل في النقاط التالية :

**أ. تحديد مشكلة البحث:** أو ما يصطلح عليه بالإشكالية العامة للبحث ، إذ يتم في هذه المرحلة تحديد المشكلة أو السؤال البحثي العام الذي يرغب الباحث في دراسته. يجب أن تكون هذه المشكلة ذات أهمية علمية و تطبيقية.

**ب. إعداد استراتيجية البحث:** يتعين على الباحث وضع استراتيجية للبحث تشمل اختيار المنهج الأنسب و الوسائل التي ستعتمد.

**ج. جمع البيانات و تحليلها:** تشمل هذه المرحلة جمع المعلومات و البيانات ذات الصلة بمشكلة البحث. يجب أن يتم ذلك بوسائل منهجية دقيقة. بعد جمع البيانات، يتم تحليلها باستخدام أدوات إحصائية أو تقنيات تحليلية ملائمة لفهم العلاقات.

**د. صياغة النتائج :** تتضمن هذه المرحلة عرض النتائج بشكل منهجي و واضح. يمكن استخدام الجداول و الرسوم البيانية لتوضيح النتائج.

**ه. المناقشة:** يقوم الباحث بمناقشة النتائج وتفسيرها ومقارنتها بالأبحاث السابقة.

يجب توجيه الانتباه أيضًا إلى الصعوبات التي واجهها الباحث.

**و. الاستنتاج:** يُلخّص في هذه المرحلة البحث بشكل عام ويُعرض الاستنتاج النهائي

الذي توصل إليه الباحث.

**ي. كتابة التقرير النهائي:** يجب على الباحث كتابة تقرير نهائي يشمل جميع

مراحل البحث بشكل منهجي ومفصل.

تجدر الإشارة إلى أنه من الممكن أن تتباين هذه المراحل بناءً على ميدان البحث

وطبيعته، ولكنها تشكل الهيكل العام لعملية البحث العلمي.

#### 3-4- الأدوات :

يعتمد المنهج العلمي على مجموعة من الأدوات لا يمكن الإستغناء عنها في عملية

البحث و هي: الملاحظة، المقابلة، وتقنيات الإختبار المختلفة كالإستمارات و

الإختبارات المقننة على اختلاف أهدافها.

**3-4-1- الملاحظة :** أداة ضرورية لجمع المعطيات ،تستعمل كأداة لأغراض مختلفة

كتقييم السلوك و المهارات أو لأغراض بحثية تتعلق بمختلف الظواهر.

الملاحظة هي استثمارالباحث العلمي لحواسه و مكتسباته المعرفية المتعلقة

بموضوع البحث بُغية إيجاد العلاقة بين مختلف متغيرات موضوع البحث.تتطلب

الملاحظة فطنة علمية (ذكاء) وقدرة على المتابعة و التحليل مع انسلاخ من الذاتية قدر المستطاع (أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الإجتماعية، 2009)

يشترط أن تكون للباحث مهارة الملاحظة الدقيقة لكل عناصر الظاهرة دون استبعاد أو إغفال أي عنصر، إضافة إلى وجوب توفر شرط النزاهة وذلك بأن يتحلّى الباحث بملاحظة ما هو أمامه (المحمودي و سرحان، 2019)

للملاحظة أشكال و ذلك حسب مجتمع الدّراسة و حسب أهدافها و طبيعة هذه الدّراسة. وبالتالي فإنّه من الممكن للباحث أن يتّخذ أدوارا مختلفة حسب متطلّبات البحث ، نوجزها في النّقاط التّالية:

**-الملاحظ المنغمس:** هنا يقوم الباحث بالمراقبة سرّاً، فيشارك في تصرفات المجموعة الملاحظة حتى لا يتم اكتشافه.

**- الملاحظ المراقب:** يكون الباحث في هذه الحالة مشاركا في نشاط المجموعة الموضوعية تحت الملاحظة و في نفس الوقت ملاحظا لكل ما يجري دون توجيه منه، دور الملاحظ هنا يكون معروفا من قبل أفراد المجموعة.

**- الملاحظ المشارك:** يندمج الباحث في المجموعة بصفة محدودة ؛ يمكن له القيام ببعض التّدخلات داخل المجموعة دون أن تكون صفة العضوية الواضحة فيها محافظا على دوره كملاحظ.

- **الملاحظ الصّرف**: هنا يقوم الباحث بالملاحظة فقط ولا يشارك في الفعل؛ على الرغم من الاعتراف به كملاحظ، وكمثال على ذلك الباحث الذي يحضر ليوم كامل بدار الطفولة المسعفة كملاحظ ( Martineau, 2005 )

جذير بالإشارة إلى أنّ الملاحظة تختلف عن مجرّد الإنتباه و تختلف أيضا عن التفسير أو التأويل وإصدار الأحكام ، فالإنتباه و الفطنة مطلوبان في عملية الملاحظة، أمّا التفسير و التأويل فيكونان في مراحل متأخرة من البحث بناء على ما تمّ ملاحظته وبناء أيضا على نتائج الإختبارات .

#### 4-3-1-1- أنواع الملاحظة:

يمكن تصنيف الملاحظة إلى أنواع مختلفة استنادًا إلى السياق الذي يتم فيه إجراؤها والغرض الذي تخدمه، هناك عدّة تصنيفات للملاحظة كأداة للبحث و التقييم نلخص أبرزها فيمايلي:

- **الملاحظة الكيفية**: يشمل هذا النوع وصفًا لا يتضمن قياسات عددية. يعتمد على الإدراكات الحسية مثل اللون والشكل والملبس والرائحة. الملاحظة الكيفية هي ذات طابع شخصي وغالبًا ما تُستخدم في مجالات معيّنة مثل علم الأحياء وعلم النفس و الإجتماع الاجتماع.

- **الملاحظة الكمية**: يشمل هذا النوع قياسات وبيانات عددية ويمكن استخدامه في التحليل والمقارنة

- **الملاحظة المنظّمة أو الموجّهة** : في هذا النوع من الملاحظة يتبع الباحث خطة أو هيكلًا محددًا مسبقًا لجمع البيانات. قد يتضمن ذلك استخدام نماذج معيّنة مُعدّة مسبقًا.

- **الملاحظة غير المنظّمة أو غير الموجّهة**: الملاحظة غير المنظّمة لا تتبع خطة محددة مسبقًا إذ يمكن للباحث الملاحظ أن يدون الملاحظات ويسجل ما يراه مناسبًا (علي و محمود ، 2011)

إنّ اعتماد نوع الملاحظة يعتمد على الهدف المرجوّ منها وعلى طبيعة الظاهرة موضوع البحث.

#### 4-3-2- المقابلة:

المقابلة وضعية تواصلية شفوية بين الباحث والحالة (أو الحالات) هدفها كالملاحظة هو جمع أكبر قدر من المعطيات التي غالبًا ما تكون عبارة عن آراء، دوافع، مواقف .... أي أنّها في الغالب ذات طبيعة كيفية .

هناك ثلاث أنواع من المقابلة ، وهي كالتالي:

**أ. المقابلة الغير موجهة**: تقوم على حرية التعبير من قبل الحالة بناء على موضوع

يقترحه الباحث. ثم يقوم هذا الأخير بمتابعة أفكار الحالة وكلامها دون طرح أي أسئلة.

**ب. المقابلة الشبه موجهة**: يُتطرّق فيها لعدد معين من المواضيع التي يتم

تحديدها في دليل المقابلة الذي يعده البحث مسبقًا. إذا طرح الباحث أسئلة وفقًا

لدليل المقابلة المعدّ مسبقًا باحثًا عن معلومات أدقّ، فإن عليه أن يسعى جاهدًا

لتسهيل تعبير الحالة عن نفسه، متفاديا قدر المستطاع جرّ الحالة إلى شعوره بانسداد الموقف (المقابلة).

**ج.المقابلة الموجهة:** يشبه هذا النوع من المقابلات الإستبيان إلى حد كبير ، إذ يكون التّواصل شفهيًا وليس كتابيًا. يطرح الباحث الأسئلة وفقًا لبروتوكول محدد مُعدّ مسبقًا وهذا لمنع الحالة من التّهرب عن الإجابة على الأسئلة والإطار المعد لذلك (أحمد أبو شنّار، 2023)

#### 4-3-3- الإختبار:

تعرف الاختبارات على أنها إحدى أدوات البحث العلمي التي تسمح للباحث بقياس التوجهات والسمات المتعلقة بفرد أو مجموعة من الأفراد محل الدراسة (ابو شنار) وعرف الاختبارات ايضا على أنها استخدام المثيرات من خلال صياغتها في صورة أسئلة أو صور لتحفيز المفحوصين على الإدلاء بمعلومات كمية أو نوعية تفيد الباحث عند إجراء البحث العلمي (أحمد الداھري، 2011)

يتيح الإختبار إمكانية الإطلاع على آراء وتوجهات مجتمع البحث أو الدّراسة بشكل مباشر من خلال التحديد المسبق لطرق الإجابة . يُعدّ الإختبار أداة أساسية لجمع البيانات، مناسبة للبحث الكمي لأنها تسمح بمعالجة عينات كبيرة وبالتالي إنشاء علاقات إحصائية أو مقارنات رقمية إضافة إلى أنّها أداة تسمح بالفهم والتعمّق في كثير من الظواهر من خلال مقاربات كيفية.

ثلاث مراحل رئيسية تتخلل جمع البيانات عن طريق الاختبار: البناء الأولي للاختبار مع اختيار محاور القياس، والاختبارات القبليّة للتحقق من صدق وثبات أداة الاختبار

أو القياس والإدارة النهائية (Ibert, Baumard, Donada, & Jean-Marc , 1999)

يعد الإختبار واحدا من أهم أدوات جمع المعلومات ومقارنتها. يتم جمع هذه المعلومات من عينة مُمَثَّلة من مجتمع الدّراسة، إذ يكون عبارة عن مجموعة من الأسئلة تتم صياغتها بهدف الحصول على معلومات تتوافق مع الظاهرة المدروسة.

هناك أشكال عديدة من الإختبارات ، منها الكتابيّة (النّصيّة) و الشفهية و المصوّرة ، تختلف طبيعتها حسب الهدف المسطر من البحث :منها ما هو خاص بتقييم القدرات و المهارات، ومنها ما يتعلق بتشخيص جوانب معيّنة من الشخصية، ومنها أيضا ما هو مصمّم لدراسة الظواهر الاجتماعية. مجمل القول أنه منها الفردية و منها الجامعية.

#### 4-3-4- الإستبيان:

الإستبيان عبارة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بمحاور معيّنة يحددها الباحث، تكون لهذه المحاور علاقة مع الظاهرة موضوع البحث. تكون أسئلة الإستبيان على العموم إمّا أسئلة مفتوحة و إمّا أسئلة مغلقة لتكون إجابة عيّنة البحث حسب طبيعة الأسئلة طبعا.

- الاستبيان المغلق: في الاستبيان المغلق، تفرض الأسئلة على الحالة شكلاً محدداً للإجابة وعددًا محدوداً من خيارات الإجابة. تُستخدم الاستبيانات المغلقة للحصول

على معلومات واقعية مباشرة من الحالة، تستعمل أيضا بغية معرفة موقف الحالة وتوجّهه سواء العامّ أو الخاصّ بمسألة معيّنة.

-الاستبيان المفتوح: في الاستبيان المفتوح يكون للحالة الحرّية في الإرسال وما على الباحث إلاّ تدوين كل ما يصدر عنه ليفسّره لاحقا، يشبه الإستبيان المفتوح المقابلة النصف-موجّهة إلى حدّ ما.

#### 4-3-5 -التجريب أو فحص الفرضيات:

يعني التجريب اختبار الفرضية (الفرضيات) أو فحصها من خلال الوسائل المذكور أعلاه للوصول إلى نتائج تدعمها أو تدحضها وبالتالي الخروج باستنتاجات تتيح التعميم من عدمه (نمر دعمس، 2015)

#### 5- خطوات المنهج العلمي:

يسمح المنهج العلمي للعلم بالتقدم بفعل صرامته، المنهج العلمي يُؤظّر كلّ العلوم على اختلاف ميادينها: العلوم الدّقيقة (الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء.....) و كذا العلوم الإنسانية (علم الاجتماع , علم النفس , التاريخ.....).

تقدم الباحثة في علم النفس " Anne-Marie Lavarde " بالمركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية تعريفا للمنهج العلمي في الدليل المنهجي للبحث في علم النفس بأنّه لا يوجد بحث علمي دون منهج علمي. إذ يتميز هذا المنهج بطرق البحث الرئيسية المشتركة بين جميع العلوم. ومن ثم يقوم كل ميدان من هذه العلوم بتنفيذها كأساليب أكاديمية مناسبة لتحقيق الأهداف المسطرة (Lavarde, 2008)

يتيح لنا العلم فهم العالم من حولنا بشكل أفضل و يتيح المنهج العلمي إمكانية تأطير ملاحظات وأفكار الباحثين بغية التوصل إلى نتيجة مفادها تأكيد الفرضية أو ضحدها. وبالتالي، فإنّ المنهج العلميّ يتيح التحقق من النظريات الموجودة و من صياغة فرضيات جديدة لاختبارها, ولذلك فهو نظام لتقييم المعرفة المنتجة و التّحقّق مصداقيتها.

للمنهج العلمي قواعد أساسية متعارف عليها, وجب على كلّ باحث التقيّد بها, نذكرها في النقاط التالية:

**أ. الحياد:** يجب ألاّ ينحاز المنهج العلمي لأيّ اتجاه أو أيديولوجية (سياسيا و دينيا) ،وعليه يجب أن يتّسم الباحث بالعقلانية والإهتمام حصرا بالظواهر التي يعالجها بالبحث.

**ب. أخذ حالات الفشل بعين الاعتبار:** أي منهجية علمية يكون مآلها الفشل يجب أن تكون موضع تخمين و تدبّر، إذ يجب تكرار (إعادة) الفحص والتجريب و في حال ما إذا استمر الفشل، فيجب مراجعة الفرضيات أو إعادة صياغتها.

**ج. الشك:** وهو الشك في كل ما لم يثبت بعد، أي شيء لم يتم تأكيده بعد في العلم من الضروري أن يكون موضع شك.

د. علاقة التجربة الميدانية بالنظرية: كل فكرة قابلة للفحص بالتجريب فهي تراعي

شروط و قواعد المنهج العلمي (أبراش، 2009)

يحكم المنهج العلمي نوعين من الإستدلال : الإستدلال الإستقرائي و الإستنباطي. المنهج العلمي الإستقرائي هو الأكثر استخداما. ويكون بالإنطلاق من حالات فردية للوصول إلى نتائج عامة معترف بصحتها. يقوم هذا النمط الإستدلالي للمنهج العلمي على التكرار والتساؤل من خلال الملاحظات والاختبارات والتجارب.

يهدف المنهج العلمي من خلال الإستدلال الإستقرائي إلى تثبيت نظرية عامة أو قوانين تحكم ظاهرة ما إذ تُعتبر الاختبار والتجريب بمثابة دعم للإستقراء.

كمثال على ما ذُكر : يقول شخص (لنعتبره باحثا لتقريب الفكرة) بأنّ لديه العديد من الأصدقاء يقطنون أحياء شعبية و كلّهم يشكون من تردّي المستوى الأخلاقي بها عاما بعد عامٍ ، بعد توسيع الملاحظة والتأكد منها تجريبيا سيتخذ الباحث من هذه الملاحظات قاعدة فحواها أن الأحياء الشعبية تردّت مستوياتها الأخلاقية بنسبة كبيرة خلال السنوات الأخيرة .

نرى في هذا المثال أنّ المنهج استقرائيّ لأنه انطلق من ملاحظات عادية و انتهى بقاعدة بعد تكرار الملاحظة بشكل تجريبي.

أمّا المنهج العلمي المُرتكز على الإستدلال الاستنباطي فإنّ الفرضيات تُصاغ من قانون موجود أصلا. يولي هذا المنهج أهمية أكبر للإطار النظري أكثر من اهتمامه بالملاحظات.

الهدف من التجربة و الفحص هو التشكيك في النظريات الموجودة أو تأكيدها. يهدف إجراء هذا النوع من الإستدلال أيضًا إلى توسيع المعرفة. باختصار، إن هدفه الرئيسي هو مقارنة النماذج النظرية بناءً على ملاحظات الجديدة.

عكس المنهج السابق، إن المنهج العلمي الإستبطاني ينطلق من العامّ أو الكلّي إلى الجزئيّ. كقولنا بأنّ الرّغبة في النّجاح و الدّافعية أمر نسبي لدى الطلبة، بعد حصص من المخاضرات يستطيع الأستاذ أن يسنبط من سيكون له مستقبل مهنيّ أفضل (كمعيار للنّجاح).

سواء كان استقرائيًا أو استنباطيًا، فإن أي المنهج العلميّ يجب أن يتبع خطوات محدّدة و متّفق عليها لمنطقيّتها، تتمثّل هذه الخطوات تباعا في: الملاحظة، وضع الفرضية، التّجريب، استخلاص النتيجة، تأويل النتيجة أو تفسيرها، الإنتاج العامّ أو التّعميم (Fortin & Gagnon, 2010)

تنشأ أي نظرية علمية إنطلاقا من الملاحظة والتّساؤل. يمكن أن يكون موضوع هذين الملاحظة و التّساؤل ذا طبيعة متعددة: وقائع، نظريات، إعتقادات، تصوّرات، ينحى المنهج العلمي لفهم الظواهر مهما كانت طبيعتها، بمتابعتها ومحاولة ضبط ميكانزماتها و مآلاتها.

يجب أن ترتبط الملاحظة بالظواهر على اختلاف طبيعتها ,الغير مألوفة خاصة,فأصل المنهج العلمي و هدفه هو الاهتمام بالبحث في الظواهر الغير معتادة (الظواهر الجديدة).

### أ-الملاحظة:

يجب أن ترتبط الملاحظة بالظواهر على اختلاف طبيعتها ,الغير مألوفة خاصة,فأصل المنهج العلمي و هدفه هو الاهتمام بالبحث في الظواهر الغير معتادة (الظواهر الجديدة).

تبدأ الملاحظة بفكرة تظهر على السطح , يقتنصها الباحث ليحللها و يبحث فيها إلى يتمكّن من تحويلها إلى موضوع قابل للدراسة والبحث من خلال صياغة فرضيات تكون حجر الأساس للإنطلاق في البحث .

كمثال على ذلك نأخذ طفلا متمدرسا في العاشرة من عمره ، يتيم الأب ، الأوسط بين إخوته الأربعة، ظروفهم المادية أقلّ ما يمكن القول عنها أنّها صعبة للغاية .و مع هذا كلّه نجد أنّ مستواه الدّراسي ممتاز ، فهو لا ينزل عن المرتبة الثالثة في قسمه . ينظر الباحث إلى ذلك نظرة تختلف عن غيره ، يرى في نجاح الطّفل هذا ظاهرة أو سلوكا غير عاديّ ،لأنّه غير معتاد ، فيدفعه ذلك إلى بلورة هذه الظاهرة التي كانت في الأصل سلوكا يراه غالبية النّاس كسلوك منعزل، بينما يسعى الباحث إلى التّعمّق في دراسته.

### ب- صياغة الفرضية:

لا وجود لعلمٍ بدون فرضية، أي بدون توقعٍ مسبقٍ من العقلِ للوقائع، فيوم، آخرِ فرضيةٍ سيكون آخر يومٍ للعلم (Mirko, 1973). في هذه العبارة معنى صريح لأهمية الفرض بالنسبة للعلم (كلود برنارد، 1947).

الفرضية عنصر محوري في المنهج العلمي. تطرح الفرضية تساؤلاً ليُجاب عنه بصياغةٍ نظريةٍ، الفرضية لا تعني إعطاء إجابة نهائية مسبقاً لتساؤل البحث وإنما تسمح بفتح أرضية احتمالاتٍ بحثاً عن أدقّ وأصحّ إجابةٍ بهدف حلّ المشكلة التي أثارها الملاحظة. مختصر القول أنّ الفرضية تنشأ من خلال تساؤلٍ ينبع من الملاحظة.

في مثالنا السابق يطرح الباحث مجموعة من التساؤلات تتعلق بالعوامل التي سمحت لمستوى الطفل الدراسي و التحصيلي بالبروغ. يركّز على الجانب النفسي للطفل ليفترض بوجود خصائص تميّزه عن باقي إخوته و ممّن هم في نفس ظروفه المادية و الاجتماعية.

### ج-الفحص و التجريب :

من أجل التأكد من صحة الفرضية أو خطئها من الضروري إخضاعها للفحص. يمكن أن يكون هذا الفحص ذا طبيعة متعددة (مادية ، إجتماعية، نفسية....). ولكي يكون ذا مصداقية، يجب أن يكون متكرراً إن سمحت ظروف البحث و طبيعته وإلا فيجب أن يتّسم بالتنوع من حيث التقنيات.

في مثالنا المعتمد، يجب أن تركز المقابلات على جانب الطّبع (البروفيل) والخصائص الشّخصية مدعومة باختبارات في نفس الإتّجاه، هدفها تقييم جانب السمّات الشخصية.

#### د- تحليل النّاتج :

بعد الفحص و التّجريب يتوجّب على الباحث تحليل النّاتج المتوصّل إليها، يجب التأكّد من نتائج الفحص إذا كانت تقنياته متعدّدة. تحليل النّاتج يكون بمناقشتها على ضوء الفرضيات التي بُني عليها البحث. يمكن تقديم النّاتج لتسهيل تحليلها على شكل جداول، بيئات رسومية، أو نصوص مصاغة بدقّة و اختصار.

في مثالنا المعتمد، يحلّل الباحث النّاتج بمقارنتها و بتوضيح العلاقة بين السمّات الشخصية و بمحيط الطّفل العائلي و المدرسي.

#### ه- تفسير النّاتج:

يرابط التّفسير بالتّحليل، فبعد التحليل يجب على الباحث تفسير النّاتج و تأويلها. خلال هذه الخطوة، يتم ربط النّاتج بفرضيّة البحث .

إذا كان تفسير النّاتج يسير في نفس اتجاه الملاحظة فإنّ الفرضية تكون مؤكّدة.

إذا كان تفسير النّاتج لا يسمح بتأكيد الفرضية، فإنّها إمّا ترفض الفرضية أو تعاد صياغتها ، أو يعاد الفحص و التّجريب بعناية و اهتمام أكثر.

**و- صياغة استنتاج عام :**

تتمثل الخطوة الأخيرة في اختتام البحث وإخراجه في صورته النهائية، أي في إعادة ذكر الفرضية وتقنيات الفحص مع عرض النتائج باختصار وتفسيرها. يسمح هذا بجعل خطوات البحث واضحة مفهومة و بالتالي تشكيل نسق مترابط يتيح صياغة قاعدة أو تعريف أو نموذج نظري.

بعد تأكيد الفرضية و الخروج بنتيجة واضحة عن مشكل البحث على الباحث السعي إلى جعل بحثه متاحا على نطاق واسع بنشره أو طباعته حتى يتسنى لغيره من الإطلاع عليه و التفاعل معه بالنقد أو التطوير ، لأنّ المعرفة العلمية لا يمكنها أن تتطور إلا بتفاعل من هذا النوع.

**6- مراحل تكوّن المنهج العلمي:**

من الصعب نسبُ ظهور مفهوم المنهج العلمي إلى عصور ما قبل التاريخ، نظراً لصعوبة المطابقة بين مراحل و وسائل إنتاج المعرفة الحديثة (العلمية) مع تلك في العصور التاريخية البدائية. لكن ومع ذلك يمكن أن نلتمس في أفكار الفلاسفة القدامى البدايات المبكرة للمنهج العلمي التي تتناسب مع الممارسات العلمية المعاصرة دون أن تكون بالضرورة طرفاً علمية حقيقية بالمعنى المعاصر.

على مر القرون، قام فلاسفة كثر بإثراء التفكير حول مفهوم المنهج من خلال التطرق إلى مجموعة متنوعة من المفاهيم (الاستنتاج، الاستقراء، الأسلوب التجريبي، الأسلوب التحليلي، الدحض....)، لكن دون ربط بين هذه المفاهيم. لم يكن تاريخ تطوّر المنهج العلمي خطياً، إنّما كان عبارة عن أفكار متناثرة استجمعت على مرّ القرون و طوّرت إلى مفهوم علمي واضح: "المنهج العلمي".

من الضروري مع ذلك التمييز بين تاريخ المنهج (كمفهوم) وتاريخ المنهج (كممارسة علمية فعلية). يهدف الفلاسفة غالبًا إلى توضيح مفهوم المنهج العلمي من منظور مفاهيمي (تأملي)، أما العلماء فلا يهتمون بالتفكير تأملي. ومع ذلك، لا يجب الانجراف إلى الاتجاه المعاكس وتصور أن العملية العلمية والعمل على العلم (فلسفة العلم) لا يتداخلان.

سنتطرق من خلال الفقرات التالية إلى تاريخ تطوّر المنهج العلمي إنطلاقاً من العصور القديمة إلى العصر الحديث مروراً بالعصور الوسطى من خلال التطرق لإسهامات فلاسفة و علماء أوروبا إضافة إلى إسهامات المسلمين .

### 1-6 في العصور القديمة:

كما هو معلوم، فإنّ العصور القديمة يقصد به الفترة التاريخية أو الزمنية الممتدة من 3000 سنة قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي، شهدت هذه الحقبة اول استعمال للكتابة (في صورتها البدائية)، عاشت خلال تلك الحقبة حضارات عديدة تميزت بمستويات من الفكر. من تلك الحضارات نذر الحضارة المصرية أو الفرعونية، حضارة الشرق الأقصى، حضارة بلاد الرافدين، حضارة الإغريق وحضارة الرومان.

برع المصريون القدامى في التّحنيط و الطّب و الفلك و الزّراعة و الهندسة و في الحساب. ميّز الحضارة السّكندرية (المصريّة القديمة) تطوّرًا ملحوظًا في مجالات عديدة من العلوم، بما في ذلك الجغرافيا. "إراتوستينيز" (توفي 194 قبل الميلاد) يُعتبر رائداً في الجغرافيا في العصور القديمة، قام بمحاولة ابتكار طريقة لقياس محيط الأرض

وقطرها. في مجال الطب، نجد أيضًا أسماءًا بارزة مثل "أبقراط" و"جالينوس". كانت لعلوم الحياة أيضا حصة كبيرة من الاهتمام في مكتبة الإسكندرية. كانت الإسكندرية أول منطقة بالمعنى الحديث لكلمة الجامعة في العالم، وهي تُعدّ شاهدًا على أن الإسكندرية كانت مركزًا مهمًا لممارسة المنهج العلمي كمنهج معرفي تجريبي في ذلك الوقت (كراوثر، 1999)

استحوذت السلطة الدينية الكهنوتية حينها على مختلف مجالات الحياة إذ منحت الطائفة الدينية حقّ الاحتفاظ و التّستر على المعرفة آنذاك و لم يسمحوا لغيرهم بالإطلاع على ما يملكون من معرفة, سجلوها على الحجارة بالخطّ الهيلوغريفي و على ورق البردي أيضا (بدر، 2008)

حقّق الفراعنة المصريون قديما تطوّرات لاتزال شواهدها قائمة إلى يومنا هذا, لكنّهم لم يتركوا أو لم يستطيعوا ترك شيء يساعد على تفسير الظواهر (دراستها) حينها تفسيراً ينبع من المنهج العلمي بمفهومه المعاصر (محمد حسن، 1998)

نشأت الحضارة الإغريقية و ترعرعت إبان حقبة التاريخ المكتوب. يشكّل العلم جزءاً حيويًا من الحضارة ويُعتبر من أهمّ شرايينها، حيث يُمثل تقدم العلم مؤشراً على تقدم الحضارة نفسها و العكس في ذلك صحيح أيضا.

بالنظر إلى الأساس الأوّل للعلم والممارسات المنظمة التي سبقت النهج العلمي وبدأ تراكم معرفتها وتطبيقاتها، نجد أنه في الحضارات الشرقية القديمة، حيث تجاوزت التحديات البدائية والصعوبات الكبيرة في بداياتها، ظهرت أهم الحضارات التي أسست

لنفسها قواعد متينة ومستدامة. ومن بين هذه الحضارات، تبرز بشكل خاص حضارة مصر القديمة، التي أسهمت بشكل كبير في تشكيل مجريات التطور الإنساني

قد اعتبر أرنولد توينبي، المؤرخ وفيلسوف التاريخ، مصر مولدة للحضارة نفسها وللمدينة وللمجتمع المنظم وللدولة. كانت مصر مصدرًا أصيلاً لمختلف فروع العلم، بدءًا من العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والفلك، وصولًا إلى العلوم التجريبية مثل علوم المعادن والكيمياء والطب والجراحة. كان الفينيقيون على سواحل الشام على اتصال وثيق مع مصر. كانوا تجارًا بارعين وجريئين في مجال الملاحة البحرية وكان لديهم بعض المعرفة المتصلة بهذا المجال. كما كان لديهم أيضًا علاقات مباشرة مع البابليين في العراق القديم. لا يمكن إلا أن نشير إلى أن إنجازات مصر القديمة في ميدان العلوم والتكنولوجيا كانت استثنائية، ولكن يُعتقد أن إنجازات حضارات بلاد الرافدين، مثل البابلية والأشورية والسومرية والأكدية، لها مكانتها الخاصة، فعلى سبيل المثال، ابتكر البابليون نظام الخانات العددية الذي يتغير فيه العدد وفقًا للمكان الذي يحتله في الخانة، سواء كان ذلك في الواحدات أو العشرات أو المئات، بالإضافة إلى إسهاماتهم المهمة في علم الجبر. تُظهر الشواهد أن الإنجازات البابلية في مجالات الفلك والتقويم والحساب كانت متقدمة، وهناك جدل حول من اخترع الحروف والكتابة في الأصل، لكن الدلائل تشير إلى ترجيح دور الفراعنة في هذا الصدد. على الجانب الآخر، تظهر الأدلة أن اختراع البابليين لرموز الأرقام الهندية كان من أهم الإنجازات في التاريخ، وذلك من حيث إسهامهم في تدليل الرياضيات والاستنباط الرياضي.

يعتقد بعض مؤرخي العلم أن رموز الأرقام ابتكرها البابليون ونقلت لاحقاً من العراق القديم إلى الهند القديمة، إن هذا الابتكار كان حجر الزاوية في تطوير العقل الرياضي لا يقل أهمية عن ابتكار العجلة و دورها في تطور التكنولوجيا.

من ناحية أخرى، يرى مؤرخون أن رموز الأرقام هي اختراع هندي انتقل من الهند إلى العراق القديم. تعتبر الهند وجارتها الصين من المواقع الرئيسية في بناء الحضارة الإنسانية إذ ساهمتا بجهدهما في المرحلة الأولى والتمهيدية لتطور العلم. على الرغم من أن الصين القديمة كانت قد تراجعت في مجال الرياضيات والمنهج الاستدلالي، ولم تعتمد رموز الأرقام الهندية، إلا أنها تقدمت في التقنيات وأضافت العديد من الابتكارات مثل الساعة المائية والبوصلة والبارود والورق.

كانت الممارسات العلمية في الحضارات الشرقية عامة تتطور استجابةً للاحتياجات العملية العاجلة. كانت المعرفة العلمية حينها مقتصرة على الطبقة الكهنوتية والروحية. ومع ذلك، فإن هذا العلم لم يكن متحرراً من الأساطير والعقائد التي شكلت جزءاً من الإطار الفكري والثقافي (يمنى طريف، 2021)

أما الإغريق فقد برعوا في كثير من المجالات سواءا تعلق الأمر بالفنون و الأنشطة اليومية أو بالعلوم, كان تعاطيهم لمختلف المسائل من حولهم يخضع إلى التأمّل المجرّد و التّفكير ليس إلّا دون الخوص في الطّرق العلمية, كانت معالجتهم للأمور فلسفية بحثة. كان يولّى للفلاسفة مكانة مرموقة آنذاك بين طبقات المجتمع الذي كان يتميّز بالطبقية و العبودية بحيث كان يُنظر إلى كل تجربة عملية عملا سوقيا لا يليق بالفيلسوف. يظهر ذلك في فكر "أفلاطون" الذي وضع الفيلسوف في مرتبة قيادية دون غيره, يظهر هذا سطوة التّفكير الفلسفي.

وضع "أرسطو" قواعد المنطق الصوري القائم على القياس في الإستدلال و دعا إلى الإستعانة بالملاحظة من أجل تحصيل المعرفة, لكن أفكاره و إنتاجه المعرفي تميّز أيضا بالزعة التأمّلية الفكرية المحضة. يوضّح هذا طبيعة المنهج وأسلوب البحث و التفكير السائد حينها (بدر، 2008)

يعتبر اليونانيون القدامى مصدرًا رئيسيًا للمعرفة والتقدم. فقد أسهموا بشكل كبير في تطوير الفلسفة والرياضيات، و في مجالات مثل الجغرافيا وعلم الفلك وعلم النبات والطب, كما أنهم تطرقوا إلى مسائل الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، حيث قاموا بتأسيس مدارس فلسفية وأسسوا لتقليد النقاش حول مختلف المواضيع. برز علماء وفلاسفة كثر خلدوا أسماءهم من خلال أبحاثهم واكتشافاتهم العلمية، أمثال "فيثاغورس" في الجغرافيا الطبيعية والرياضيات والفلسفة، "هيبوقراط" في الطب و المعروف "أبو الطب" و "أرخميدس" في الفيزياء والكيمياء و غيرهم (بدر، 2008)

بالنسبة للرومان، فقد استوحوا العديد من ثقافتهم وتقاليدهم من اليونان، وانتقلت الفلسفة والعلوم إلى الإمبراطورية الرومانية بعد ذلك. أصبحت اليونان مركزًا مهمًا للتعليم والثقافة في العالم الروماني، وقد تم نقل الكثير من المعرفة والمؤلفات اليونانية إلى الرومانية. قام بعض الفلاسفة الرومان بتطوير فلسفة مستقلة تمزج بين الأثر اليوناني والقيم الرومانية.

إلى جانب ذلك، ازدهرت العلوم في الإمبراطورية الرومانية، حيث شهدت العديد من التطورات في مجالات مثل الهندسة والطب والمعمار. كما كان للرومان دور كبير في تطوير القانون والأدب، واشتهروا بأعمالهم الأدبية والفلسفية.

بالإجمال، يمكن القول إن اليونان والرومان ساهموا بشكل كبير في تطوير المعرفة والثقافة في العالم القديم، وأثروا بشكل كبير على الفلسفة والعلوم والأدب والفن في تلك الفترة، إذ كانوا أصحاب نزعة عملية استكشافية أكثر من النزعة التأملية الفلسفية.

### 2-6 في العصور الوسطى:

يقصد بالعصور الوسطى الحقبة التاريخية الممتدة من القرن الميلادي الخامس إلى القرن الميلادي السادس عشر، إذ يعرف بالعصر الذهبي بالنسبة للحضارات العربية الإسلامية و سمي بعصر النهضة الأوروبية أيضا لما شهده من اكتشافات و اختراعات في مجال التكنولوجيا خاصة. سنتطرق في الفقرات التالية إلى إسهامات المسلمين و الأوروبيين في تطوير المنهج العلمي.

يمكن التطرق إلى المنهج العلمي في العصور الوسطى من خلال تطوره في حيزين جغرافيين مختلفين دينيا، ثقافيا و تاريخيا: المنهج العلمي في العالم الغربي (في أوروبا) والمنهج العلمي في العالم الإسلامي.

### 1-2-6 المنهج العلمي في العالم الإسلامي:

في القرون الأولى بعد انتشار الإسلام، شهد العالم الإسلامي نشاطًا علميًا كبيرًا. كان المسلمون يهتمون بالترجمة والاستيلاء على المعرفة المتاحة من الحضارات السابقة، مثل الحضارة اليونانية والفارسية والهندية.

- إتبع العلماء الأوائل مثل الخوارزمي، ابن الهيثم، الرازي، وآخرين، منهجيات مبتكرة في البحث والتجريب.

- كان هناك اهتمام كبير بالرياضيات، وخاصة الجبر والهندسة، وكذلك الطب والكيمياء والفلك والبيولوجيا.
- ابن الهيثم (الهزن) يعتبر أحد أوائل المروجين للمنهج التجريبي في العلوم، حيث أكد على أهمية الملاحظة والتجربة (الباز، 1998)

في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية كانت المنهجية العلمية واضحة ومحددة بين العلماء المسلمين في ميدان العلوم الطبيعية والتطبيقية. لم يقبلوا أي فكرة أو نظرية إلا بعد التحقق منها. اتخذ العلماء و المفكرّون المسلمون موقفًا علميًا في مختلف مجالات المعرفة البشرية، معتمدين على أساليب علمية قائمة على الدقة والتفكير النقدي، وهذا ما أثنى عليه العديد من العلماء في العصور الحديثة. كان التفكير الإسلامي يتّسم بالموضوعية، حيث التزم العلماء المسلمون بالنزاهة العلمية والبحث الموضوعي عن الحقيقة. ويرى الباحثون أنه من واجب العالم و المفكرّ أن يكون فطنا وأن يبلور الأفكار ويعالجها بناءً على أساس موضوعي، متجنبًا السقوط في فخ المعتقدات التقليدية والتحيز بأنواعه، مثل العناد والتقصير واتباع الأغراض الشخصية والرغبة في السيطرة. ويجب على الباحث أن يأخذ فقط ما يتوافق مع المنطق والعقل (محمد زيان، 1975)

### 2-2-6 المنهج العلمي في أوروبا:

في البداية، كانت الكنيسة هي المؤسسة الرئيسية في أوروبا خلال العصور الوسطى، ولهذا فإن الكثير من البحث العلمي كان مرتبطًا باللاهوت أو كان له نزعة

- دينية. ومع ذلك، بدأت التقدّمات العلمية التي تم إحرازها في العالم الإسلامي تجد طريقها إلى أوروبا، خاصة خلال الحروب الصليبية وما بعدها.
- في القرون الوسطى الأخيرة، بدأت الجامعات تنشأ في أوروبا، وأصبح هناك اهتمام متزايد بالدراسات الطبيعية.
  - الفلاسفة مثل "توما الأكويني" توجهوا إلى محاولة التوفيق بين المعرفة اليونانية (خاصة أرسطو) والعقيدة المسيحية.
  - بحلول نهاية العصور الوسطى، بدأت الثورة العلمية في أوروبا، مع العلماء مثل "نيكولاس كوبرنيكوس" و "غاليليو غاليلي"، اللذين تحدّيا الأفكار السائدة حول الكون (David C & Michael H, 2013)

شهد المنهج العلمي في العصور الوسطى تطورًا كبيرًا ومستمرًا في مناطق مختلفة من العالم. وقد ساهم هذا التطور في وضع أسس مهمة للعلوم الحديثة التي نعرفها اليوم. على الرغم من الاختلافات الثقافية والدينية، إلا أن هناك تقاطعًا وتأثيرًا متبادلًا بين العلماء في العصور الوسطى، مما أدى إلى إغناء المعرفة الإنسانية.

### 3-6 في العصر الحديث:

تمتد هذه الحقبة من نهاية القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، بلغ خلالها التفكير العلمي في أوروبا أشده، وشهد ظهور علماء وفلاسفة ساهموا في تطوير المنهج العلمي. من بين هؤلاء العلماء "فرانسيس بيكون"، "جون ستيوارت ميل"، "كلود برنارد" وغيرهم (بدر، 2008)

تطور المنهج العلمي في العصر الحديث يمكن فهمه من خلال التغييرات والابتكارات التي شهدتها هذا المنهج على مر العصور. خلال القرون الأخيرة، ومع تطور العلوم

والتكنولوجيا، شهد المنهج العلمي تحسينات وتوسعات في مختلف مكوناته. وهذه بعض الجوانب البارزة من تطور المنهج العلمي في العصر الحديث:

- تخصص العلوم: مع تقدم الزمن، أصبحت المجالات العلمية أكثر تخصصًا. هذا أدى إلى تطوير طرق بحثية معينة خاصة بكل مجال، مما أدى إلى تحسين النتائج وعمق الفهم والتحكم.
- تكنولوجيا البحث: مع تقدم التكنولوجيا، أصبح لدينا أدوات بحث أكثر تقدمًا ودقة تساعد في جمع البيانات وتحليلها. مثل أجهزة الميكروسكوب الإلكتروني، الأقمار الصناعية، وأجهزة الاستشعار الحديثة.
- الحوسبة والإعلام الآلي: القدرة على جمع وتحليل كميات ضخمة من البيانات باستخدام الحاسوب غيرت الطريقة التي ننظر بها إلى البحث العلمي. الحوسبة السحابية وتعلم الآلة أصبحت جزءًا لا يتجزأ من البحوث الحديثة.
- تطوير التجارب: أصبحت التجارب أكثر تقدمًا ودقة. أيضًا، أصبح هناك مزيد من الوعي حول أهمية تكرار التجارب والتأكد من صحة النتائج.
- التواصل العلمي: في العصر الحديث، أصبح التواصل العلمي أسرع وأسهل من أي وقت مضى بفضل الإنترنت وقواعد البيانات العلمية والمجلات الإلكترونية.
- التكامل العلمي: يتم الآن دمج مختلف التخصصات العلمية معًا في مجالات بحثية مشتركة لتحقيق نتائج أكثر شمولًا ودقة.
- الأخلاقيات في البحث: زاد الاهتمام بالجانب الأخلاقي في البحث العلمي، حيث أصبح هناك مزيد من الوعي حول أهمية النزاهة العلمية والأخلاقيات في التجارب.

انتقد "فرانسيس بيكون" الفكر الأرسطي بشدة، وأشار إلى أهمية الاعتماد على التجربة كمصدر موثوق للمعرفة. وفي عام 1620م، كتب كتابه "الأورغانون الجديد" حيث طرح أسس المنهج التجريبي وشرح الأخطاء التي قد تعيق البحث العلمي، ومن هذه الأخطاء (محمد حسن، 1998)

- أخطاء ترتبط بقصور العقل البشري المتأثر بالأوهام والميولات الشخصية.
- أخطاء تتعلق باللغة وعدم قدرتها على التعبير بدقة عن المعاني.
- الاعتماد المطلق على أقوال العلماء دون مراجعة أو نقد.

كما وضح بيكون أساسيات المنهج التجريبي وبيّن خطواته كالآتي : (محمد حسن، 1998)

1. تجميع المعطيات التي تعد أساس البحث العلمي.
2. تصنيف هذه المعطيات إلى مجموعات وقوائم معينة.
3. مقارنة القوائم المصنّفة لاستخراج خصائص الظواهر المدروسة.
4. التأكد من النتائج وتأكيد صحتها من خطئها.

يُمكن القول إن "فرانسيس بيكون" قد طور أسس المنهج العلمي، وقد تبعه في ذلك العديد من العلماء البارزين مثل "جون ستيوارت ميل" و "كلود برنارد". بفضل جهودهم، أصبح المنهج العلمي أساساً في الأبحاث العلمية.

يظهر ممّا سبق تطور المنهج العلمي عبر العصور، والذي يعكس تقدم التفكير الإنساني وكيف تطور من مرحلة إلى أخرى، مستفيداً من المعرفة والتقنيات السابقة

حتى وصل إلى منهج علمي متقدم يعتمد على الباحثون اليوم. وقد أسهم هذا التطور في إحداث ثورات علمية واكتشافات تجاوزت العديد من التحديات التي واجهها الإنسان في الماضي. كما أسهم في البحث عن حلول للمشكلات التي تقابلنا في مختلف المجالات الإنسانية والاجتماعية، وكل ذلك بفضل الإنتهاج الصّحيح لخطوات المنهج العلمي.

### 7- الدّعوة إلى استخدام المنهج العلمي في مجال العلوم الاجتماعية و الإنسانية :

سعى المفكرون خلال الحقب التاريخية المختلفة لاستكشاف القضايا الاجتماعية بالدراسة و التمحيص. رغم تركيزهم على التأمل الفلسفي واستخدام المنطق في الحكم على المسائل إلا أن تلك النظريات كانت مجرد مراحل في تقدم العلوم الاجتماعية. يعتمد العلم الحديث أسلوبًا أكثر تطورًا و منطقية يستند إلى الملاحظة والتجريب للكشف عن القوانين العامة. وقد أسهم المنهج العلمي في فهم العديد من الظواهر الطبيعية، مما أتاح فهم الطبيعة واستغلالها لخدمة الإنسان. لذا سعى العديد من المفكرين الاجتماعيين إلى ضرورة اعتماد المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية لتحقيق نتائج أكثر دقة. هذا السعي أدى إلى اتجاه الباحثين في العلوم الاجتماعية نحو استخدام الأساليب العلمية في دراسة المجتمع والقضايا المرتبطة به. ونتج عن هذه ذلك تطور في الأساليب المستخدمة وظهور مجموعة من القوانين والنظريات في هذا المجال (محمد حسن، 1998)

### - عبد الرحمن ابن خلدون (1332م-1406م):

يعد "ابن خلدون" من أوائل المفكرين الذين أكدوا على أهمية تطبيق المنهج العلمي في فحص المجتمع ودراسته. كان الكثير من المفكرين الاجتماعيين قبله يرى أن الظواهر الاجتماعية لا تخضع لقوانين ثابتة وأنها نتيجة لتصرفات صانعيها. ولذا، كانوا

يعتقدون أنه لا يمكن دراستها بنفس الأسلوب الذي يستخدم لدراسة الظواهر الطبيعية.

كان "ابن خلدون" من أوائل العلماء الذين دعوا لاعتماد المنهج العلمي في تحليل التاريخ وفهمه بشكل منهجي. أشار إلى أهمية إنشاء فرع علمي متخصص لدراسة الحياة الاجتماعية ومكوناتها، وأسماه "علم العمران". حدد فيه المعايير المنهجية التي يجب اتباعها لفهم تطور المجتمعات. ومن خلال ذلك، قام بوضع الأسس لما يعرف اليوم بعلم الاجتماع المعاصر.

انتقد ابن خلدون الطريقة التقليدية السائدة في كتابة التاريخ في عصره، حيث رأى أن الروايات التاريخية التي ذكرت عن الماضي ليست جميعها صحيحة، فمنها المزيّف و منها الناقص و منها المشوّه الذي يحمل مغالطات كثيرة، ومنها ما يستحيل وقوعه منطقياً. أرجع "ابن خلدون" ذلك لجملة من الأسباب، نجملها في النقاط التالية (طويلب، 2022)

- الذاتية: إذ تطفئ الذاتية من خلال الاهتمام بالمصالح الشخصية في مقابل الموضوعية في انتقاء الرواية التاريخية، ومن خلال الميول الشخصية و عدم الأخذ في الحسبان ميول وأهواء من ينقل عنهم. وفي ذلك يقول ابن خلدون: "فإنّ النّفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنّظر حتى يتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نخلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على بصيرتها عن

الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله. وعلاجها تجرّد الباحث من الذاتية و الإلتزام قدر المستطاع بالموضوعية .

- الثقة المطلقة في المنقول، المنقول المفتقر للبحث و التمحيص ، إذ لا ينبغي على الباحث أو المفكّر التسليم بما يكتب غيره تسليماً مطلقاً.

- توهّم الصدق، وسببه الثقة المطلقة في ما جاء به الناقلون.

- تقرب العلماء من أصحاب المراتب و المسؤولية من أجل الجاه أو الثروة، يجعل ذلك قلب الحقائق و تزييفها أمراً جد ممكناً.

- عدم الإلمام بالقوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، فالإلمام بقوانين العمران من الأمور الضرورية لمعرفة حقيقة الظواهر، إذ إنّه لكلّ ظاهرة طبيعة تخصها.

بعد انتقاده للأساليب التقليدية التي كانت رائجة في زمانه، قدم ابن خلدون نهجه الخاص في دراسة الظواهر الاجتماعية، مستنداً على الملاحظة المباشرة والمقارنة. وتلخص خطوات منهجه كالتالي:

**1-الملاحظة المباشرة:** عبر رحلاته وزياراته لمختلف المجتمعات، استطاع ابن

خلدون أن يلاحظ ويستقرئ عديد من الظواهر الاجتماعية.

**2-تتبع الظاهرة:** من خلال متابعته لتطورات معينة داخل تاريخ شعب واحد،

وقياس هذه الظاهرة مع التقاليد والعادات والطبيعة الاجتماعية.

**3-المقارنة:** بالنظر للظواهر المماثلة داخل مجتمع واحد أو بين مجتمعات مختلفة، أكد ابن خلدون على أهمية المقارنة نتيجة لتجاربه ورحلاته المتنوعة في أماكن متعددة.

**4-التحليل الديناميكي:** بالإضافة إلى دراسة الظواهر الثابتة، كانت له الرغبة في فهم الجوانب الديناميكية والتطورية لهذه الظواهر.

**5-البحث عن الأسباب:** كان هدفه فهم القوانين العامة التي تحكم مختلف الظواهر.

وضع "ابن خلدون" هذا المنهج العلمي الذي يتسم بالدقة والموضوعية، والذي يغطي دراسة الظواهر الاجتماعية بكافة أبعادها ومستوياتها.

### فيكو - Gianbatista Vico (1668م-1774م):

أحدث توجهها حديثاً نحو استخدام منهج علمي في دراسة الظواهر الاجتماعية يشبه إلى حد كبير المنهج الذي وضعه العالم ابن خلدون. هذا التوجه يقلل من الاعتماد على الطرق التقليدية ويؤكد على استخدام المناهج الاستقرائية والمقارنة. ومن الجدير بالذكر أن هناك اتفاقاً على أن الظواهر الاجتماعية تعمل وفقاً لقوانين تشابه، في بعض الجوانب، قوانين الظواهر الطبيعية.

تمثلت اهتماماته في فلسفة التاريخ، حيث تعمق في دراسة الوثائق المتعلقة بالأحداث التاريخية، والعقائد الدينية، والتقاليد التشريعية، بالإضافة إلى العادات

واللغات التي تم تدوين هذه الوثائق بها. وقد جمع وأوضح هذه الأفكار في كتابه الذي أسماه "العلم الحديث"، وفيه دعة إلى:

- استخلاص النظريات من الحقائق التاريخية.
- تنفيذ منهجية العلوم الطبيعية (المنهج التجريبي) في تحليل الظواهر الاجتماعية.
- الاعتماد على المقارنة لاستخلاص القوانين.
- استنتاج المعلوم من المجهول.

إن ابن خلدون قد تقدم في توضيح أسس المنهج العلمي الصحيح في الدراسات الاجتماعية وأشار في اعتقاده إلى وجود مبدأ الحتمية الاجتماعية. كما أنه ألقى الضوء على تأثير الظواهر الاجتماعية المتبادل وكيف تتأثر بعوامل مثل الجغرافية والبيئية والنفسية والفردية. ويشير العديد من الاجتماعيين الأمريكيين إلى أن البعض يعتقد أن "مونتسكيو" أو "فيكو" هما الأوائل في التحدث عن مبدأ الحتمية الاجتماعية، بالرغم من أن ابن خلدون قد أشار إلى هذا المبدأ من قبلهما، وأكد على أن الظواهر الاجتماعية تخضع لقوانين ثابتة قبل ظهور تلك الأفكار.

### أوغست كونت (1798م-1857م):

الفيلسوف الفرنسي، المعروف بفلسفته الوضعية، كان من الرواد الذين أكدوا على ضرورة تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية، وهو المنهج الذي يعتمد على الوصف والتحليل المنهجي لفهم قوانين تحكم الظواهر الاجتماعية.

بعد نجاح تطبيق المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية والتقدم الذي تم تحقيقه من خلال النظريات والقوانين التي أسفرت عنه تلك العلوم، والتي ساعدت في فهم وتسخير الظواهر الطبيعية لخدمة الإنسان، ظهر الاعتقاد بأنه يمكن تطبيق نفس المنهج في الدراسات الاجتماعية. هذه الدراسات التي لها قوانينها الخاصة، ومن خلال المنهج العلمي يمكن فهم تلك الظواهر وتحليلها والكشف عن الأسباب والعوامل التي تؤثر فيها.

لفهم الظواهر الاجتماعية بطريقة وضعية، يجب تحقيق شرطين أساسيين:

**الشرط الأول:** يجب أن تخضع هذه الظواهر لقوانين عامة وليست نتيجة للمزاجيات أو الظروف العابرة. كونت كان يرى بأن هذا الشرط قائم.

**الشرط الثاني:** يجب أن يكون لدى الأشخاص معرفة بهذه القوانين، ولا يمكن تحقيق هذا إلا إذا قام الباحثون بالكشف عن هذه القوانين وتوعية الجمهور بها. ويتطلب ذلك دراسة منهجية ومنظمة للظواهر الاجتماعية. "كونت" يعتقد أن التموقع الوضعي يمكن اكتسابه من خلال الخبرة العملية، ولذلك يجب على الباحث أن يكون مدرباً بشكل صحيح من خلال التربية العلمية التامة.

كما أسس "كونت" للدراسة المعمقة للظواهر الاجتماعية، فقد قام بتقسيمها إلى قسمين رئيسيين، وهما:

- الاستقرار الاجتماعي (ستاتيكا): يتناول دراسة الأنظمة الاجتماعية وتفاصيلها من حيث استقرارها ومكوناتها، كالأسرة، نظام الحكم، والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية.
- الدينامية الاجتماعية (ديناميكا): يركز على دراسة الأنظمة الاجتماعية في ضوء تطورها وتغيرها.

وعند النظر في الأسس المنهجية لدراساتها:

- فيما يتعلق بالاستقرار الاجتماعي، أكد كونت على أهمية النظر في الترابط بين الظواهر الاجتماعية والبحث عن قوانين التكامل الاجتماعي. فلا يمكن دراسة نظام اجتماعي دون النظر في الأنظمة الأخرى المرتبطة به، حيث أنها مترابطة بشكل وثيق.
- أما بالنسبة للدينامية الاجتماعية، فهي تحتل مكانة أهم من الاستقرار في الدراسة، لأن فهم التطور يعتمد على فهم الاستقرار، ولا يمكن الوصول للقوانين الثابتة دون معرفة القوانين الديناميكية التي تؤثر في تلك الظواهر. الطريقة المستخدمة في الدراسة تعتمد على الملاحظة، التجربة، المقارنة والتحليل التاريخي للوصول إلى القوانين المتعلقة بالجانب الديناميكي.

### إميل دوركايم (1858م-1917م) :

"دوركايم" هو أحد رواد السوسيولوجيا الفرنسية، حيث كان ولا يزال له تأثير ملحوظ على توجه الأبحاث في هذا الميدان. كان من بين مشاركاته الهامة تحديد المناهج التي

يجب استخدامها في الدراسات السوسولوجية. كتابه "أسس المنهج في علم الاجتماع" يعد من أهم ما كتب في هذا السياق.

إهتم "دوركايم" بتفسير الظواهر الاجتماعية وتحديد خصائصها، ذكر في ذلك خاصيتين:

- **القهر:** حيث تتميز الظواهر الاجتماعية بقدرتها على فرض نفسها على الأفراد، حتى لو كان ذلك غير مرغوباً لهم. وهذا يظهر عندما يحاول الفرد التصدي لبعض الظواهر الاجتماعية، فتواجهه المجتمع بردود فعل متنوعة مثل العقاب الذي يكون سواء مادياً أو معنوياً.

- **الموضوعية:** فالظواهر الاجتماعية لها وجود مستقل خارج إدراك الأفراد، وتتجاوز حياة الفرد الفردية.

كما شدد "دوركايم" على أهمية استخدام المنهج الاستقرائي في الدراسات الاجتماعية وأوضح أسس ملاحظة الظواهر الاجتماعية، والتي منها:

- يجب أن تتم ملاحظة الظواهر الاجتماعية كأشياء حقيقية، متخلصاً من المفاهيم الشائعة والمجازات .

- يجب على الباحث أن يكون حيادياً وأن يتجنب أي فكرة مسبقة عن الظاهرة التي يدرسها.

- يجب تحديد نطاق البحث بوضوح والتركيز على فئة معينة من الظواهر الاجتماعية.

هذه الأسس تهدف إلى ضمان الدقة والموضوعية في البحث السوسولوجي.

## 8- المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية و الإنسانية:

كانت بداية استعمال مصطلح العلوم الاجتماعية مع مطلع القرن التاسع عشر ،تبلور المصطلح أكثر مع منتصف القرن العشرين ليس للدلالة على العلم الذي يدرس المجتمع كعلم منفرد وإنما للدلالة على كل العلوم التي تحلل المجتمع في اطاره الثقافي, مجمل القول أنّ العلوم الاجتماعية هي العلوم التي تدرس واقع الإنسان فرداً أو جماعة داخل مجتمعه (علم الاجتماع, علم النفس, الأنثروبولوجيا .....), تسعى هذه العلوم لفهم الإنسان, لدراسة علاقاته, فهم تاريخه قصد التنبؤ بمعطيات مستقبله.

## 9- مقارنة بين العلوم الاجتماعية و الإنسانية من جهة, وبين العلوم الطبيعية من جهة أخرى:

حققت العلوم الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك، تقدماً ملحوظاً في تحقيق أهداف العلم. على الرغم من التقدم الكبير الذي حققته هذه العلوم تظل العلوم الاجتماعية مثل في مرحلة تطور مستمر. يشكك البعض في وصول العلوم الاجتماعية إلى مستوى علمي مشابه للعلوم الطبيعية، بينما يرى آخرون أن لها المقدرة على تحقيق ذلك، ولكن بوتيرة أبطأ. تعتبر هذه العلوم مجالاً معقداً إذ يواجه الباحثون فيها تحديات عدة، باذليل كل الجهد لفهم العوامل التي تؤثر على سلوك الإنسان وتفسير الظواهر الاجتماعية، ومحاولة التنبؤ بها والتحكم فيها.

## -موضوع البحث في العلوم الاجتماعية صعب الضبط :

على الرغم من أن العلوم الاجتماعية والطبيعية تتناول موضوعاتها من منظور مختلف، فإن لكل منها خصوصيتها. العلوم الطبيعية تركز على الظواهر الفيزيائية،

بينما العلوم الاجتماعية، وعلى الرغم من وجود عناصر فيزيائية في سياقها، تحتاج غالباً إلى منظور مختلف لتفسير الظواهر التي تدرسها.

تتناول العلوم الطبيعية الظواهر على مستوى محدد، وهو المستوى الفيزيائي. بشكل عام، لا يوجد في المواقف المتعلقة بهذا المستوى سوى عدد قليل من المتغيرات التي يمكن قياسها بدقة. أما العلوم الاجتماعية، فتواجه حالات معقدة، حيث يعتبر الإنسان عنصراً متغيراً ومعقداً في التفاعل. ولهذا السبب، تحتوي المشكلات الاجتماعية على العديد من المتغيرات التي يجب مراعاتها.

لا تقتصر دراسة الظواهر الاجتماعية على الفهم الفيزيائي فقط كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية، بل ينبغي النظر إليها من منظور اجتماعي، نفسي، بيولوجي أو مزيج من هذه الجوانب. وكمثال، يمكن تفسيرها وفقاً لأنماط النمو، أو الزمان، أو النوع، أو المكان، أو التنظيم، أو النشاط، أو الدوافع، أو التوجهات. وتعقيد هذه الظواهر يجعل الباحث الاجتماعي يواجه تحديات عدة، حيث يجب عليه تحديد الزاوية التي ينظر منها والعوامل التي سيعتمد عليها في تفسيره (دعمس، 2008)

#### -الملاحظة في العلوم الإجتماعية تحتاج لمهارات خاصة:

يواجه الباحثون في مجال العلوم الإجتماعية صعوبات عند محاولة ملاحظة الظواهر الاجتماعية بشكل مباشر، تلك الصعوبات أكبر مما قد يواجهه الباحثين في العلوم الطبيعية. فالظواهر التي حدثت في الماضي لا يمكن للباحثين الاجتماعيين أن يشاهدوها أو يسمعوها أو يجربوها مباشرة. يمكن للباحث في العلوم الإجتماعية أن

يرصد بعض الظواهر الاجتماعية مباشرةً إلا أنه قد يجد صعوبة في استكشاف جوانب أخرى، ويحتاج إلى أن يجعلها موضوعًا للبحث.

تتميز الظواهر الاجتماعية بتعقيدها أكثر من الظواهر الطبيعية. فعلى سبيل المثال، قد يعطي استخدام جهاز قياس معين نتائج ثابتة تحت ظروف معينة، لكن دراسة نفس السلوك لمجموعة من الطلاب في حيز جغرافي معين قد لا يحقق بالضرورة نتائج مماثلة لمجموعة أخرى في حيز جغرافي آخر. كما أنه من الممكن أن يكون هناك فروقات كبيرة بين أطفال في نفس السن من ناحية الطول، الوزن، المعرفة اللغوية، التفاعل الاجتماعي، وأدائهم الأكاديمي. في العلوم الاجتماعية نجد أنه من الصعب التعميم بسهولة. لذا، يجب على الباحثين توخي الحذر قبل صياغة استنتاجات بخصوص أبحاثهم. فالفتنة العلمية مطلوبة بشدة (أبراش، 2009)

#### -العلاقة بين الباحث و موضوع البحث (الظاهرة):-

الظواهر الطبيعية ليس لها مشاعر أو عواطف والباحث في العلوم الطبيعية لا يحتاج إلى مراعاة ذلك. وعلى النقيض من ذلك، فالعلوم الاجتماعية تتعامل مع ظواهر أكثر حساسية، حيث يكون الإنسان هو الموضوع المحوي, فهو الدّارس و المدرس حيث تكون الموضوعية على المحك إن لم يلتزم الفتنة و الموضوعية.

يستقصي الباحث في العلوم الطبيعية أحداث الطبيعة محاولاً فهم القوانين الرئيسية التي تحكمها و لا يسعى لتغيير الطبيعة أو التدخل في أحداثها، بل يسعى لزيادة فهمه للظواهر الطبيعية بغية الاستفادة منها. عندما يقدم العلماء تفسيراً لظاهرة معينة، فهم يدركون أن تلك التفسيرات لن تغير من الظاهرة شيئاً . الظواهر الاجتماعية

تختلف في تعقيدها مقارنةً بالعلوم الطبيعية. ففي الظواهر الاجتماعية، تكون التفسيرات المقدمة لهذه الظواهر قابلة للتأثير في الوقائع والأحداث الاجتماعية. عندما يقوم الناس بتفسير حدث اجتماعي، قد يقررون تغيير الظروف الاجتماعية بناءً على هذه المعرفة، وهذا قد يجعل بعض التفسيرات السابقة لا تعود صحيحة. نتائج العلوم الطبيعية ثابتة ولكن نتائج العلوم الاجتماعية قابلة للتغيير بناءً على استجابات أفراد المجتمع (يمنى ، 2017)

بإمكان الباحثين ملاحظة الظواهر الطبيعية بموضوعية أكبر من ملاحظتهم للظواهر الاجتماعية. فالباحث الاجتماعي هو جزء من المجتمع الذي يدرسه ولهذا، مشاعره وقيمه قد تؤثر في تحليله. على الرغم من أن الإنسان قادر على ملاحظة الظواهر الطبيعية بوضوح، إلا أن تفاعلاته الاجتماعية تقدم تحديات أكبر في الفهم والتحليل. لذلك، الظواهر الاجتماعية أكثر تعقيداً من الظواهر الطبيعية.

### 10- المناهج الكمية و المناهج الكيفية:

يمكن دراسة الظواهر في العلوم الاجتماعية من خلال طريقتين , الأولى تتمثل في القياس و العدّ وتسمّى المنهج الكمي إذ تتميز العينة في الغالب بعددها الكبير, أما الطريقة الثانية فتستهدف عمق الظاهرة لا سطحها من خلال محاولة فهم علاقاتها الداخلية و تعرف بالمنهج الكيفي أو النوعي.

تستهدف المناهج الكيفية فهم وتوضيح ظاهرة معينة .و بغية ذلك يتم التركيز بشكل أكبر على البيانات المحصورة والملاحظات المباشرة, ولهذا السبب يميل الباحثون إلى الاعتماد على دراسات حالات محددة أو مجموعة صغيرة من الأفراد.

تهدف المناهج الكمية أساسًا إلى قياس الظاهرة، وقد يكون هذا القياس قائمًا على معايير رقمية م أو قيم عددية، وذلك باستخدام الحسابات الرياضية. العديد من الأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تعتمد على القياس، خصوصًا عند استخدام المؤشرات، النسب، المتوسطات أو الأدوات التي يُقدمها الإحصاء. نستخدم المناهج الكمية عندما نرغب في معرفة أمور مثل تطور ظاهرة ما على مدى سنوات، أو العلاقة بين مختلف الظواهر.

من ناحية أخرى، لقد كانت المناهج الكمية في مواجهة مستمرة مع المناهج الكيفية لفترة طويلة. تعتمد المناهج الكمية بشكل أساسي على المعالجة الصارمة للظواهر من خلال القياس والمقارنة، وتميل إلى الاستفادة من البيانات التي تُستخدم في علوم الطبيعة. رغم أن المناهج الكمية كانت تُعتبر منذ البداية أكثر دقة وعلمية من المناهج الكيفية، إلا أن هذا أسهم في تشكيل نظرة إزاء في العلوم الاجتماعية والإنسانية بأنها تتطلب المزيد من التكميم (الإعتماد على الكمّ في مقابل کیف) في منهجياتها.

تعتمد بعض فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية مثل علم الاقتصاد، الجغرافيا، علم الاجتماع، علم النفس الأساليب الرياضية في دراسة الظواهر المختلفة وذلك لأن مواضيعها ومادتها العلمية تسمح بتطبيق هذه الأساليب بسهولة. ومع ذلك، ليست كل الظواهر الاجتماعية والإنسانية قابلة للقياس الدقيق باستمرار. لهذا، يُعتبر استخدام المناهج الكيفية، التي تركز على التفسير والملاحظة العميقة وفهم التجارب التي يمر بها الأشخاص، ضروريًا في كثير من البحوث. بالإضافة إلى ما سبق، فإن الظواهر الاجتماعية والإنسانية، رغم الدقة التي قد توفرها القياسات الكمية في تقديرها، فإنها تحتفظ دومًا بجانب کیفي. عندما يعبر شخص عن أهدافه وطموحاته

و عن رضاه المهني مثلا ، فإننا نتعامل مع موضوع له أبعاد كمية قابلة للقياس، ولكن المصطلحات المستخدمة تعبر في جوهرها عن واقع إنساني معقد لا يمكن الاكتفاء بقياسه بالأرقام فقط. المفاهيم مثل الرضا و الطموح تُظهر الحاجة لتفسير وتقدير الواقع، حيث يظل الجانب الكمي مجرد وسيلة لتسهيل فهم هذه الظاهرة.

تتنوع الأبحاث في أساليبها وتصميمها، وهناك مصطلحات مثل "البحث النوعي" و"البحث الكمي" تُستخدم لوصفها. لكل نوع من هذه الأبحاث نهج خاص في معالجة وتحليل الظواهر. ربما أكبر الفروقات بينهما تكمن في كيفية جمع المعلومات وتقديمها. البحوث الكمية تعتمد على الأرقام، الجداول والمعلومات الإحصائية، بينما تتميز البحوث النوعية بالاعتماد على الوصف والمفردات والتحليل التفصيلي المعمق للظواهر موضوع البحث.

البحث النوعي عبارة عن استكشاف حالة أو ظاهرة معينة. يعتمد الباحث في هذا النوع من البحوث على مشاركته المباشرة والفعلية في موقع الظاهرة لجمع المعلومات. يهدف من خلال ذلك إلى تقديم وصف دقيق ومفصل للظاهرة داخل البيئة التي تحدث فيها، ثم يعرض نتائجه بشكل مفصل ويوجه استنتاجاته بناءً على النتائج التي حصل عليها، يعتبر البحث النوعي الواقع من منظور اجتماعي مُنسوج مع التفاعلات والعلاقات البشرية ومشاعرهم. بينما يفترض البحث الكمي أن الواقع موجود بشكل مستقل، ويمكن قياسه ودراسته بغض النظر عن العوامل الخارجية. يركز البحث الكمي على قياس الظواهر بشكل دقيق وإلى عزلها، مع التعبير عن العلاقات من خلال الأرقام والبيانات الإحصائية. بينما البحث النوعي يُعطي أهمية لفهم الظواهر من خلال التفاعلات والمشاعر والتجارب البشرية.

تختلف أساليب البحث في المنهجين الكمي والنوعي، حيث يتم تخطيط البحث الكمي مسبقًا بتقديم الأهداف والإجراءات بشكل واضح ومحدد، وبتقيدها خلال فترة البحث، بينما يتسم البحث النوعي بمرونته، حيث يسمح بتعديل الخطط الأولية استجابةً للنتائج المستجدة.

في البحث الكمي، يُعالج الموضوع بشكل محدد ودقيق، مع تجنب الانحياز أو التفسير الشخصي للظاهرة. بينما يميل البحث النوعي إلى الإنغماس (الحذر) والمشاركة في البيئة لفهم الظاهرة من خلال التفاعلات والمشاعر المعاشة.

يعتمد البحث الكمي على أدوات قياسية لجمع البيانات، ويتم تقديم الأسئلة بنفس الطريقة لجميع المشاركين. أما البحث النوعي، فهو يعتمد على المقابلات المفتوحة أو النصف-مفتوحة والملاحظة، ويتيح المرونة في تكيف الأسئلة حسب الحاجة. يركز البحث النوعي على فهم الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة، بينما يهدف البحث الكمي إلى القياس الموضوعي.

## 11- الموضوعية والذاتية

### 11-1 مفهوم الموضوعية:

تختلف الرؤية للموضوعية كمفهوم. فهي الإبتعاد عن التحيز عند البعض، بينما يراها آخرون في الميل قدر المستطاع للحيادية. إذا اعتبرنا الموضوعية بعد عن الإنحياز عن الانحياز فإنها تصبح في جوهرها مرجعية لوصف الواقع بشكل حقيقي، تكون حينها معياراً للحقيقة والموضوعية في تصوير الأمور. وعلى الرغم من السعي المستمر للتعبير بصدق عما نراه أو نسمعه، فإن تفسيرنا للأمور يبقى مرتبطاً بخلفياتنا الشخصية: المشاعر، الأحكام وتجاربنا، فضلاً عن قدراتنا العقلية.

تعني الموضوعية إدراك الأمور وكأن لها وجود مستقل خارجي بغض النظر عن تصورات الإنسان. فأى شيء يعتبر موضوعيًا عندما تكون له نفس الدلالة بين مجموعة من الجمهور (الباحثين) حتى وإن كانت زوايا ملاحظتهم مختلفة. أوضح الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" هذه الفكرة بقوله: "لنفترض أن مجموعة من الناس تشاهد عرضًا مسرحيًا، وفي نفس الوقت، تقوم كاميرات بتصوير العرض، الصور التي تم التقاطها والصور التي شاهدها الجمهور ستكون متطابقة في بعض الجوانب ومختلفة في أخرى. سأسمي الجوانب التي تظل ثابتة بين المشاهدين "موضوعية"، بينما الجوانب التي تختلف من شخص لآخر "ذاتية". النقطة الأساسية هي أن الذاتية ليست مجرد نتيجة للتصورات الشخصية، ولكنها جزء من الواقع نفسه. إذا كان هناك جوانب ثابتة ولا تتغير حسب زاوية الرؤية، فهذه هي الموضوعية الحقيقية" (طويلب، 2022)

يختلف مفهوم الموضوعية في العلوم الطبيعية عن مفهومها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ففي العلوم الطبيعية تقتصر الموضوعية على الواقع الملموس، في حين أنها تتعامل في الفلسفة كمثال عن العلوم الاجتماعية مع المفاهيم والنظريات. إن الموضوعية في العلوم الطبيعية تركز على الأمور العملية كالتجارب الكيميائية، ولكن في الفلسفة، يتم التركيز على الكون ككل، وكيفية تفاعل الأشياء فيه (طويلب، 2022)

مسألة الموضوعية هي قضية مهمة بالنسبة لجميع ميادين البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. رغم هذا، فإنه لا يمكن إنكار تأثير الذاتية عند تحليل النتائج. عند إجراء استبيانات أو استجابات نفسية واجتماعية، يمكن للتحيز أن يشوه النتائج

بحيث يميل المشارك في الاستبيان لتقديم إجابات تلي توقعات الباحث, هناك أيضًا التأثير الشخصي للفرد الذي يجيب على الأسئلة، حيث يقدم إجابات تعكس موقفه أو رأيه الشخصي، وقد تتغير هذه الإجابة باختلاف الظروف أو السياق, إضافةً إلى ذلك، توجد مساحة كبيرة للتفسير الشخصي عند تحديد الأسئلة نفسها، سواء كانت تلك التفسيرات ناتجة عن كيفية صياغة السؤال أو بناءً على البيئة التي تتم فيها الدراسة.

أحد أبرز العوامل التي أثارت الرغبة في تبني المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية والإنسانية هو الحاجة الماسة للوصول إلى حقائق موضوعية تبني عليها المعرفة، بعيدًا عن الميل الشخصي أو التصورات الفردية، مستوحاة من نجاحات العلوم الطبيعية. ومع ذلك، تتميز العلوم الاجتماعية والإنسانية بتحديات خاصة في تحقيق هذا الهدف، بسبب دور عامل ذاتية الباحث. في السياق الاجتماعي، يكون الباحث جزءًا من الموضوع الذي يدرسه وليس مجرد مراقب خارجي, ما يعقد الموضوع أكثر هو أن الظواهر الاجتماعية ليست دائمًا واضحة أمام الباحثين، فقد تكون هناك جوانب غير معروفة أو مخفية. بعض النقاد يقولون أن الموضوعية المطلقة في البحوث الاجتماعية هي هدف صعب المنال، لكن ذلك لا يقلل من الجهود العلمية والموضوعية في هذا المجال. وتعتمد الموضوعية في البحث الاجتماعي على مهارة الباحث وحرصه على تقديم الحقائق بشكل موضوعي دون تأثيرات شخصية (طويلب، 2022)

### 11-2 الذاتية :

يتطلب البحث العلمي من الباحث تضحيات كبيرة، ومن الصعب عليه نفي ذاتيته و مصالحه الشخصية أثناء البحث, من جهة أخرى، عليه التركيز الواقع والإلتزام

بالفطنة الحذر والابتعاد عن التأثيرات الشخصية، فذلك هو أول خطوة نحو الموضوعية. يجب على الباحث أن يتجاوز أفكاره المسبقة وأن يجيد استخدام جميع الأدوات المتاحة له، مع الحرص على عدم التضليل أو التحيز حتى لا تصبح النتائج التي يسعى لتحقيقها مجرد وهم.

سؤال يتكرر في الأذهان بكثرة، وهو هل للإنسان أن يُنكر ذاتيته أو أن يستطيع التعامل معها؟ فإنكار الآتية قد يتجلى بتجاهل الذات تمامًا أو برفض كل ما يتعلق بشغف البحث لأن أعمق دوافع البحث تنبع من الذاتية، هذا إن كان، فإنه يعتبر من المتناقضات. و في هذا السياق، نقول أن التفكير العلمي يتجه نحو الموضوعية إذ يجب أن تكون شغله الشاغل في كل وقت، يتحقق ذلك بتجاوز الاتجاهات و الميول الشخصية التي قد يتمسك بها الباحث أثناء البحث العلمي. لذلك، من الأمور المحتملة أن يضع الباحث ذاتيته جانبًا، ويستخدم قوته ومصالحته في خدمة البحث.



## المدارس المنهجية الكبرى

### مفهوم النظرية و المدرسة:

لكل من مصطلحي "مدرسة" و "نظرية" في مجال البحث العلمي و المجال الأكاديمي معنى محدد، فالنظرية هي مجموعة من الأفكار والمفاهيم والقوانين التي تقدم تفسيراً لظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر إذ تعتمد على البيانات والأدلة وتهدف إلى توضيح وتفسير قوانين هذه الظاهرة و سببية حدوثها، قد تتغير النظريات أو تتطور بناءً على بيانات جديدة أو اكتشافات علمية.

أما المدرسة فترتبط أساساً بالتيارات الفكرية أو المنهج الأكاديمية ، في مصطلح "المدرسة" دلالة إلى مجموعة من العلماء أو الباحثين الذين يشتركون في وجهات نظر معينة أو أساليب فكرية محددة. تمثل المدرسة توجهًا أو اتجاهًا في التفكير و التحليل، وقد تتضمن عدة نظريات ضمن نفس التيار الفكري. قد تكون هناك مدارس متعددة داخل نفس التخصص الأكاديمي، كل منها تقدم نهجًا مختلفًا لفهم وتحليل الظواهر.

نقول باختصار بأنّ النظرية هي إطار تفسيري لظاهرة معينة، في حين أن المدرسة تمثل مجموعة من الأفكار أو التوجهات الفكرية التي قد تحتوي على عدة نظريات متعلقة بموضوع أو مجال معين ( الزيباري، النظرية السوسولوجية المعاصرة، 2017)

**12- المدرسة الإسلامية :** يعتبر التاريخ جزءاً هاماً من التطور الثقافي، تبلورت أهميته بمجيء الإسلام إذ أسس للحضارة الإسلامية. ورغم أن الاهتمام بالتاريخ كان موجوداً

في الجاهلية، إلا أن الإسلام أضاف له بُعداً جديداً بالخوض خاصة إلى التاريخ القديم والتأمل فيه.

مع ظهور الإسلام، تبلورت منظورات تاريخية جديدة، فالقرآن قدم نظرة جديدة إلى الماضي، مُظهرًا حدود ذكريات العرب (المسلمين) مرجعاً البداية إلى خلق الكون، أكد القرآن أيضًا على أهمية الغوص و التدبر التاريخ، من خلال ذكره لقصص الأمم والشعوب السابقة. هذا المنظور أعطى اهتمامًا خاصًا لتاريخ الأنبياء والقصص المرتبطة بالتاريخ اليهودي والمسيحي.

القرآن جاء برؤية شاملة للتاريخ، مع التأكيد على وحدة الرسالة النبوية التي أُرسِلَ بها العديد من الأنبياء، مع مكانة خاصة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه النظرة العامة أثرت في الاهتمام بتاريخ الأنبياء وبالقصص المتعلقة بالتاريخ المذكور في القرآن. وضح القرآن أيضًا أن تعاليم النبي موسى عليه السلام كانت مشابهة لتعاليم الإسلام، مما جعل الدراسة التاريخية لأقوال الأنبياء وأفعالهم أمرًا مهمًا.

إن التوسعات الإسلامية ورسالة الإسلام أدت إلى التعرف على حضارات أخرى وتاريخها. كما كانت فتوحات المسلمين سببًا في الاختلاط بالشعوب والثقافات الأخرى والتعرف عليها. أما الجهد الذي بذله عمر بن الخطاب في تدوين التاريخ، فقد شكل بداية مهمة لتطور الفكر التاريخي في العالم الإسلامي. ومنذ ذلك الحين، أصبح التاريخ جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية (طويلب، 2022)

## 12- 1 المدرسة المدنية:

في مجال الدراسات التاريخية، تم التركيز على فترة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الفترة اشتهرت باسم "المغازي"، والتي تتضمن غزوات الرسول ومعاركه. هذه

الدراسات شملت العصر النبوي بأكمله. بعض الصحابة البارزين كان لهم دور في هذا المجال منهم:

- "أبان بن عثمان بن عفان": الذي كان يتميز بتوجهه نحو دراسة "المغازي". ورغم أن أحد تلاميذه قام بتأليف كتاب حول المغازي، فإنه يعتبر أحد المحدثين. يعبر عن مرحلة انتقالية بين علم الحديث ودراسة المغازي.

- "عروة بن الزبي": فقيه ومحدث، كان من رواد دراسة المغازي. أصدر أول كتاب في المغازي، مشابهاً لما فعله أبان بن عثمان. بعض المؤرخين نقلوا مقتطفات من كتابه مثل "الطبري" و"ابن إسحاق" و"الواقدي" و"ابن سعد" و"ابن كثير".

- "شرحبيل بن سعد": كان يهتم بنفس الموضوع وأضاف إليه النمط الاجتماعي، حيث قدم أدوار الصحابة الذين شاركوا في أحداث مختلفة.

قام ثلاثة علماء بتطوير وتوسيع دراسة "المغازي". هؤلاء هم: "عبد الله بن أبي بكر بن حزم"، و"عاصم بن عمر بن قتادة"، و"محمد بن مسلم بن شهاب الزهري". أبرزت كتاباتهم الأطر المغازية واستند "ابن إسحاق" و"الواقدي" على المواد العلمية التي قدموها. كان "الزهري" الأول من بين الثلاثة، حيث لم يقتصر على دراسة "المغازي" فقط، ولكنه توسع في البحث عن الروايات المدنية وأحاديثها، ودون ما كان يسمعه ليُعزز ذاكرته، وقد رتب تلك الروايات في إطار منظم. عند كتابته "السيرة"، ركز على التتابع التاريخي لأحداث السيرة وأوضح تواريخ الأحداث الهامة، معتمداً على منهج الحديث.

- "موسى بن عقبة": كان من تلاميذ "الزهري"، وأتبع منهج مدرسة المدينة بدقة. نظرته تعكس تأكيداً متزايداً على أهمية الإسناد، وكان يهتم خصوصاً بذكر تواريخ الأحداث. استفاد من مواد مكتوبة تعود لأستاذه "الزهري" إضافة إلى مصادر أخرى.

- "محمد بن إسحاق": قدم لنا سيرة هامة تعتبر محفوظة في كليتها. يُعتبر نموذجاً للتطور في كتابة التاريخ والسيرة النبوية. ابتعد قليلاً عن مدرسة المدينة، سواء في منظوره التاريخي أو في أسلوبه. دمج بين أساليب الحديثيين والقصاصين في كتاباته، وأعطى اهتماماً خاصاً للمغازي وتواريخ الأنبياء. جمع بين الأحاديث، الروايات التاريخية، الإسرائيليات والقصص الشعبي مع الشعر. ومصادره متنوعة، ففي البداية استند على أهل الكتاب والجدد في الإسلام وغيرهم، واستقى قصصاً عربية وأخرى من مصادر متعددة.

- محمد بن عمر الواقدي: اشتهر بتطويره للدراسات التاريخية. هو مؤلف "كتاب المغازي" الذي تناول فيه غزوات النبي وسراياه. كان مركزه الأساسي على الفترة المدنية، وتميز بأسلوبه وطريقته الدقيقة خصوصاً مع مدرسة المدينة. في هذا السياق، كان أكثر دقة من ابن إسحاق في استخدامه للإسناد وفي التحقيق بتاريخ الأحداث (طويلب، 2022)

## 12-2 مدرسة الإخباريين:

- "أبو محنف": مُختص في الأنساب وكتب معلومات قيمة عن الردة وفتوحات الشام والعراق، وكذلك عن الشورى، الصفق، والأحداث المتلاحقة في العراق حتى نهاية العصر الأموي، بما في ذلك الثورات والمعارك والخوارج. وجمع هذه المعلومات

في ثلاثة كتب. ويعتبر من أبرز المختصين في الأخبار في العراق، ويمتاز بالدقة في الإسناد واستخدام الروايات العائلية والقبلية.

- "عوانة بن الحكم": مُتميز في الشعر والأنساب.

- "سيف بن عمر": ألف كتابين، الأول عن الردة والثاني عن الفتوحات، وكان مُتقناً في طرحه.

- "نصر بن مزاحم": أول مُختص شيوعي في المعرفة.

- "المدائني": أكمل دراسته في بغداد، حيث تعمق في العلوم التاريخية وتأثر بالإسناد. له نظرة واسعة ومُنظمة للأحداث التاريخية، استفاد من أبو محنف وابن إسحاق والواقدي، وكان أكثر دقة من سلفه في البحث، وأكثر تنوعاً في اختيار مصادره.

ارتقى "المدائني" إلى درجة أعلى من حيث الدقة والبحث مقارنةً بأسلافه. يتضح أنه اعتمد أسلوباً حديثاً في نقد الروايات، مما جعله يحظى بثقة أكبر بين الناس مقارنةً بمن سبقه. وقد اتسع نطاقه في اقتباس الروايات، خاصة تلك التي تتعلق بروايات المدينة والبصرة، بالإضافة إلى تلك المتعلقة بالخوارج وفتوح خراسان والمناطق الواقعة وراء النهر. وقد قدم "المدائني" معلومات أكثر دقة ووزناً من سابقه بخصوص الأحداث والموضوعات التي تناولها. وبفضل جهوده، تم تعزيز دقة البحث في هذا المجال، وأصبح مصدراً أساسياً للمؤرخين الذين جاءوا بعده (طويلب، 2022)

## 13- المدرسة الماركسية:

## تعريفها:

هي نظرية تقوم على أساس مادي، تعتبر أن الوجود المادي يحدد الوعي. تؤمن أن الواقع موجود بشكل مستقل عن الوعي وله وجود أزلي دون خالق ولا حدود زمانية أو مكانية. يتطور هذا الواقع بفعل قوى داخلية، وليس بفعل عوامل خارجية. الواقع المادي يعتبر الأساس، بينما الروحي والمعنوي يأتي في مرتبة ثانوية. الوعي هو نتيجة للواقع المادي وعبرة عن انعكاس له. الإنسان هو مصدر الأفكار والتصورات ويعتبر العنصر الأساسي في الطبيعة والتاريخ. تعتبر الماركسية أيضًا نظرية مادية جدلية، يعني أنها ترى كل ظاهرة من خلال سياق ديناميكي يتضمن قوى متضادة، حيث تحتوي كل ظاهرة في داخلها على الشيء ونقيضه (المحمداوي، 2014)

المقاربة الجدلية تختلف عن المقاربات الأخرى في أنها تبني على مبدأ التناقضات الكامنة داخل الأشياء. الماركسية تعتبر أن الطبيعة والإنسان يخضعان لقوانين حيث تعمل هذه القوانين في الطبيعة بشكل غير واعي، بينما في المجتمع الإنساني تعمل هذه القوانين نتيجة للنشاط الواعي للإنسان. والإنسان ليس مجرد مستقبل لتلك القوانين، بل يمكنه التدخل لتعديل أثرها أو توسيع نطاقها استنادًا إلى احتياجاته ومصالحه. القوانين توجد بشكل موضوعي وبشكل مستقل عن وعي الإنسان. والقانون هو عبارة عما يحدث في الواقع المادي نتيجة لروابط ثابتة وأساسية ونسبية ومتغيرة. وهذه الروابط تحدد طبيعة التطور في ظروف معينة. ويطلق على مجموع هذه القوانين اسم "المادية التاريخية"، وهي تطبيق المادية الجدلية على تاريخ المجتمعات (خليل، 2010)

الماركسية هي من بين الفلسفات الغربية التي لها تأثير كبير على فهم التاريخ وتحليله وتفسيره. تقوم فكرتها على الأساس المادي وتركز على النزاع بين الطبقات الناتج عن التناقضات في المجتمع. ويمكن تلخيص أهم نقاط هذه الفلسفة كما يأتي:

- تتأصل فكرة المادية التاريخية في أفكار "سان سيمون"، الشخصية المرموقة في الفكر الثوري الفرنسي، وهو يُعد من المفكرين البارزين في أوروبا. عاش "سان سيمون" بين السنوات (1760 و1825م)، وهو من رواد الثورة الفرنسية ومؤسسي فلسفتها. وقد عُرف بأنه من العلماء الاجتماعيين الاقتصاديين. وكان يرى نفسه على أنه مُبتكر "الفيزياء الاجتماعية"، مؤمناً بأن المجتمع يمكن فهمه وتحليله كما تدرس و تفهم الظواهر فيزيائية.

- ركز في دراساته على تاريخ أوروبا منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية، مُشيرًا إلى أن التاريخ يُمكن تلخيصه في الصراع المستمر بين العمال، والذين يُطلق عليهم "الطبقة الثالثة"، وبين الطبقات السائدة التي تستفيد من جهود هؤلاء العمال، مثل طبقة النبلاء ورجال الدين.

- أبرز "سان سيمون" في أبحاثه كيف ساعد الملوك الطبقة الثالثة في صراعها مع أصحاب الأراضي خلال العصور الوسطى. ومن الأمثلة على ذلك هي الحقوق التي أُعطيت لسكان المدن، الذين كانوا يُعارضون أصحاب الأراضي، مما أسفر عن ظهور المدن الصناعية الثرية وصعود البروجوازية، التي انضمت فيما بعد إلى الطبقة الثالثة في صراعها مع الملوك خلال الثورة الفرنسية. وفي هذا السياق، كان "سان سيمون" هو الأول الذي أشار إلى أن صراع المصالح الاجتماعية وصراع الطبقات هو العنصر

الأساسي في التطور التاريخي، وكان أيضًا أول من أشار إلى أهمية هذا الصراع في تقدم التاريخ (البرصان، 2015)

### 13-1 كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ:

تأسست المدرسة على يدي الفيلسوف "كارل ماركس" الذي توفي في 1883م، وهو من نفس التوجه الفلسفي لزميله "فريدريك أنجلز" الذي توفي في 1895م. أبرز أفكار هذا التوجه الفلسفي نجدها في كتاب "رأس المال" الذي كتبه "ماركس" في عام 1867م، حيث قام بتحليل أوجه النظام الاقتصادي الرأسمالي. استعان ماركس في أفكاره بقراءاته للفلسفة الألمانية، خصوصاً أفكار "هيجل" و "فيورباخ"، وكذلك الفلسفة الفرنسية من قبل مثل "سان سيمون" و "برودون"، بالإضافة إلى الاقتصاد السياسي مثل "ريكاردو" و "ميلز". وكانت الأحداث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا في تلك الفترة، كالثورة الصناعية واحتجاجات العمال، من أهم العوامل المؤثرة في فكره ( ماركس و أنجلز، 2016)

### 13-2 مبادئ الماركسية:

-طريقة تنظيم الإنسان لإنتاج متطلباته المادية تُعتبر المحور الأساس في دراسة التاريخ البشري، والعامل الاقتصادي يُشكل القوة الدافعة لحركة التاريخ.

- نمط الإنتاج يحدد سير التاريخ والهياكل الاجتماعية المتغيرة. ويتجلى نمط الإنتاج في التفاعل بين وسائل الإنتاج (كالأرض، المال، المصانع) وعلاقات الإنتاج (مثل السيد والعبد، الرأسمالي والعامل).
- التطور المجتمعي يتأثر بالهياكل العليا كالمؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية.
- العمال هم الفاعل الأبرز في المجتمع و التاريخ، وليس القادة أو الزعماء أو المفكرين
- تُشكل الطبقات الاجتماعية وحقوق الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وفي مقدمتها الأرض الأساس للعلاقات بين هذه الطبقات، وهذه العلاقات تمثل نوعاً من الصراع.
- تعمل الدولة كأداة تخدم مصالح الطبقة الاقتصادية الغالبة، وليست ككيان محايد أو فوق الطبقات.
- سيقود النضال الطبقي في نهاية المطاف إلى إقامة مجتمع بروليتاري حر عن الاستغلال.
- الصراع الطبقي قد يؤدي إلى دكتاتورية البروليتاريا، والتي تُزيل بدورها الاستغلال بين الطبقات والدولة.
- النظرية الماركسية تُعتبر خدمة للبروليتاريا، التي ستأخذ السيطرة يوماً ما وتصبح قادرة على تحديد القوانين العلمية للتاريخ والمجتمع (Plekhanov, 2008)

### 3-13 إسهامات الماركسية:

- تميزت بالتركيز على الجانب التاريخي للإنسان المتطور باستمرار، معارضة لفكرة الإنسان الثابت المستقل عن التغيرات الزمنية والمكانية.

- أكدت على أهمية التاريخ الممتد وتضمين كل حدث ضمن مسيرة البشرية منذ بدايات التاريخ.
- أعطت أهمية للمتغيرات والتطورات على حساب المفاهيم الثابتة وغير المتغيرة.
- تعتبر أنه لا يوجد اقتصاد أو تاريخ أو جغرافيا أو علوم قانونية مستقلة، بل يوجد علم واحد متمثل في علم التاريخ الذي يشمل كل الأبعاد.
- أبرزت أهمية الجانب الاقتصادي في تكوين التاريخ وأن التأثيرات الاقتصادية تحدد مسار التاريخ بدلاً من القوى الحاكمة أو الحضارات أو غيرها.
- أكدت على دور الجماهير والأفراد الذين ساهموا في صناعة التاريخ، سواء كانوا عمالاً، حرفيين، مزارعين، أو غيرهم (Plekhanov, 2008)

#### 13-4 ما يعاب على الماركسية:

- تأكيدها على الدور المحوري للعوامل السياسية، الثقافية، والدينية في تفسير تطور التاريخ، مع رفضها للنظرة التي تعزو أي تحرك في التاريخ فقط للعامل الاقتصادي.
- ترى أن التاريخ الإنساني هو نتاج صراع مستمر بين الطبقات، دون أخذ القيم الأخلاقية العليا في الاعتبار.
- تؤكد على الارتباط الوثيق في المجتمع بين الوعي المادية وهي الأساس لأي نظام سواء كان سياسياً، اقتصادياً، ثقافياً أو دينياً (كيلة، 2008)

## 14- المدرسة الوضعية:

كان "أوغست كونت" وراء تأسيس المدرسة الوضعية ويعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث.

ولد في (مونبوليه) بجنوب فرنسا في عام 1798، في أسرة ذات خلفية ملكية وكاثوليكية. درس بين عامي 1814 و1816 في المدرسة المتعددة التقنيات الشهيرة في باريس. خلال عام 1818، التقى بـ "سان سيمون" وأصبح تلميذًا مقربًا منه لست سنوات. بعد هذه الفترة، شعر "كونت" بالحاجة لتطوير فكره بشكل مستقل عن أفكار "سيمون".

في 1826، بدأ بإلقاء محاضرات في المدرسة المتعددة التقنيات حول مذهبه الوضعي. رغم أن محاضراته جذبت عديد من العلماء آنذاك، إلا أنه اضطر لوقفها لبضعة أشهر بسبب تدهور حالته الصحية. ومع ذلك، استمر في نشر أفكاره وطبع محاضراته بين عامي 1830 و1842 تحت عنوان "محاضرات في الفلسفة الوضعية"، وتعد من أهم أعماله.

مع مرور الوقت، تدهورت ظروفه المادية والاجتماعية بعد فصله من وظيفته في المدرسة المتعددة التقنيات بسبب العداوة والكيد من بعض زملائه. واعتمد في حياته على المساعدات من تلاميذه والمعجبين بأفكاره، مثل "ميل" و"غروت". توفي في باريس في 5 ديسمبر 1857 ودُفن في مقبرة (بير لاشيز) (Gouhier, 1997)

## 14-1 أهم أفكارها:

فلسفة كونت الوضعية تشير إلى النهج الفلسفي الذي طوره الفيلسوف الفرنسي إيمانويل كانت (Emmanuel Kant) في القرن الثامن عشر. هذا النهج الفلسفي يركز

على الوضع أو الحالة الراهنة للإنسان وكيف يمكن للفرد التفكير والتصرف بناءً على هذا الوضع. يشمل النهج الوضعي تحليلاً للعوامل المحيطة والاجتماعية والثقافية التي تؤثر على الفرد وتشكل واقعه.

كان "كونت" يعتقد أن الإنسان يعيش في عالم معقد يتأثر فيه بالعديد من العوامل المختلفة، وهذه العوامل تؤثر على كيفية تصوّر الفرد للعالم وتفسيره له. على سبيل المثال، يمكن أن تؤثر العوامل الاجتماعية والثقافية في تكوين معتقدات وقيم الشخص وتوجهاته.

فلسفة "كونت" الوضعية تعزز أهمية فهم السياق والظروف التي يعيش فيها الفرد وتأثيرها على إدراكه للحقيقة والواقع. يعتبر "كونت" أن فهم الوضع الذي يعيش فيه الإنسان يساعده على التحلي بالحكمة واتخاذ القرارات الصائبة. هذا النهج يساعد أيضًا في فهم التناقضات والتحوليات في الفهم البشري للعالم على مر العصور.

إجمالاً، فلسفة "كونت" الوضعية تشجع على النظر إلى الإنسان ككائن متأثر بالبيئة والظروف الاجتماعية والثقافية، وهي تلقي الضوء على أهمية الوعي بالوضع وكيف يمكن للفرد أن يتعامل معه ويفهمه بشكل أفضل ( عبد المعطي، 1993 )

قام "أوغست كونت" بتطوير فكرة الوضعية في سياق العلوم الاجتماعية.

#### 2-14 وضعية العلم:

وضعية العلم تركز على فهم تطور المعرفة البشرية والعلمية عبر التاريخ، وتقسم التاريخ البشري إلى ثلاث مراحل رئيسية: العصور اللاهوتية، والعصور الميتافيزيقية، والعصور الوضعية

وفقًا لـ "كونت"، العصر الوضعي هو المرحلة التي تسمح بالتفكير العلمي والتحليل الاجتماعي المستند إلى الوقائع والتجارب الواقعية، وهو ما يعكس التطور نحو العلمانية والمنهجية العلمية في فهم المجتمع والعلوم الاجتماعية ( عبد المعطي، 1993)

#### 14-3 الوضعية الاجتماعية:

بالإضافة إلى وضعية العلم، قام "أوغست كونت" بتطوير فكرة "الوضعية الاجتماعية"، والتي تتعلق بكيفية تطور المجتمع والتغيرات في الهياكل الاجتماعية عبر الزمن.

اعتقد "كونت" أن المجتمع يمر بمراحل تطورية وأنه يمكن تصنيف هذه المراحل إلى ثلاثة مراحل: العصور اللاهوتية أو الثقافية، والعصور الميتافيزيقية أو الفلسفية، والعصور الوضعية أو العلمانية.

في الوضعية الاجتماعية، يزعم "كونت" أن المجتمع يتجه نحو التطور الاجتماعي والعلمي الذي يعتمد على المنهجية والعلمانية، وهذا يتضمن اعتماد العلوم الاجتماعية للتحليل العلمي للظواهر الاجتماعية.

بهذه الطريقة، يمكن تقسيم مذهب أوغست كونت في الوضعية إلى وضعية العلم والوضعية الاجتماعية، حيث يرتبط الأول بتطور المعرفة والعلوم عبر التاريخ، في حين يتعلق الثاني بتطور المجتمع والتغيرات ( عبد المعطي، 1993)

## 14-4 خصائص الفلسفة الوضعية:

الفلسفة الوضعية هي نهج فلسفي يركز على الوضع أو السياق الاجتماعي والثقافي الذي يؤثر على الإنسان وكيفية تأثير هذا الوضع على تفكيره وسلوكه. لهذا النهج الفلسفي مجموعة من الخصائص المميزة، منها:

- التأثير الاجتماعي والثقافي: الفلسفة الوضعية تشدد على أهمية البيئة والسياق الاجتماعي والثقافي في تشكيل التفكير والسلوك البشري. تفهم أن الإنسان ليس كائنًا معزولًا، بل يتأثر بالعوامل المحيطة والاجتماعية.
- الاهتمام بالتغير والتطور: تعترف الفلسفة الوضعية بأن الوضع الاجتماعي والثقافي يتغير مع مرور الزمن، وبالتالي يجب تقدير هذا التطور والتغير ومعالجته في تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية.
- النقد الاجتماعي: تشجع الفلسفة الوضعية على التفكير النقدي بشأن هياكل السلطة والتمييز والعدالة في المجتمع. تسعى إلى فهم كيفية تأثير هذه الهياكل على الفرد والمجتمع بشكل عام.
- الاعتماد على البحث والدراسة: الفلسفة الوضعية تشجع على إجراء البحوث والدراسات الاجتماعية والثقافية لفهم الوضع الحالي والتغيرات التي تحدث في المجتمع.
- التنوع والشمولية: تؤمن الفلسفة الوضعية بأهمية التنوع وتقبل الاختلافات في السياقات الثقافية والاجتماعية، وتعتبر أن الحلول لمشكلات المجتمع يجب أن تأخذ في اعتبارها هذا التنوع.

- الربط بين النظرية والعمل: تسعى الفلسفة الوضعية إلى توجيه الأفكار والنظريات إلى التطبيق العملي، وتحت على اتخاذ إجراءات تغييرية لتحسين الوضع الاجتماعي والثقافي.

- تأثير الاجتماعيين والفلاسفة: عدد من الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين قاموا بتطوير وتشكيل الفلسفة الوضعية، مثل "كارل ماركس" و"ماكس ووبر" و"ميشيل فوكو" و"بيير بورديو" و"جون ديوي" وغيرهم، وهذا ما يميزها بالغنى لتشعب مشاربيها (لظفي بركات، 1967)

هذه الخصائص تجعل الفلسفة الوضعية نهجًا مهمًا في فهم الواقع الاجتماعي والثقافي وفي تحليل التحديات والمشكلات التي تواجه المجتمعات البشرية في العالم المعاصر.

#### 14-5 الفلسفة الوضعية و علم الاجتماع:

الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع علاقة وثيقة وتتركان في الاهتمام بفهم الواقع الاجتماعي والثقافي وتحليله. إليك بعض النقاط التي توضح العلاقة بين الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع:

#### - التركيز على الوضع والسياق:

كلا النهجين يعترفان بأهمية الوضع والسياق في تشكيل التفكير والسلوك البشري. الفلسفة الوضعية تسلط الضوء على كيفية

تأثير الوضع الاجتماعي والثقافي على التفكير الفلسفي والأخلاقي، في حين يهتم علم الاجتماع بدراسة العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على السلوك الاجتماعي.

### - تحليل الهياكل والعلاقات:

كلا النهجين يسعيان إلى تحليل الهياكل الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد والمجتمعات. على سبيل المثال، الفلسفة الوضعية تعنى بدراسة الهياكل الاجتماعية وتأثيرها على القرارات الأخلاقية، بينما يعنى علم الاجتماع بدراسة هذه الهياكل والعلاقات الاجتماعية في سياق التحليل الاجتماعي.

### - التأثير المتبادل:

يتبادل الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع التأثير بشكل مستمر. فالبحوث والأفكار في علم الاجتماع تقدم تحليلات ونظريات تؤثر في الفلسفة الوضعية، وعلى العكس، الفلسفة الوضعية تساهم في توجيه البحث والدراسات في علم الاجتماع.

### - النقد الاجتماعي والثقافي:

كلتا الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع تشجعان على النقد الاجتماعي والثقافي. يهدفان إلى فهم التحديات والمشكلات الاجتماعية والثقافية والبحث عن حلول لها.

### - التأثير على السياسة والتغيير الاجتماعي:

كلا النهجين لهما تأثير على صنع السياسات والتغيير الاجتماعي. يمكن أن تسهم الأفكار والأبحاث في علم الاجتماع والفلسفة الوضعية في توجيه سياسات اجتماعية وثقافية أفضل (جاستون، 2021)

باختصار، الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع يتشابكان في مجال البحث والتحليل الاجتماعي، حيث يساهم كل منهما في توجيهه وتكوين فهمنا للعالم الاجتماعي والثقافي وتأثيراته على الإنسان والمجتمع.

#### 14-6 العلوم الاجتماعية:

الوضعية عبارة عن توجه داخل العلوم الاجتماعية يركز على دراسة كيفية تأثير الوضع الاجتماعي والثقافي على عملية تكوين المعرفة والمفاهيم والمعتقدات. يتعامل الباحثون في هذا المجال مع الأسئلة المتعلقة بكيفية تشكيل العوامل الاجتماعية والثقافية تصورات الأفراد وتصوراتهم للعالم.

ترتبط الوضعية والعلوم الاجتماعية بشكل كبير لأن العلوم الاجتماعية تعنى بدراسة المجتمع والظواهر الاجتماعية، هذه بعض النقاط التي توضح العلاقة بين الوضعية والعلوم الاجتماعية:

- **تأثير الوضع الاجتماعي على البحث الاجتماعي:** الوضعية تشجع على دراسة تأثير الوضع الاجتماعي للباحثين والعلماء على عمليات البحث والتحليل الاجتماعي. يمكن أن يؤثر الوضع الاجتماعي للباحث على اختيار الموضوعات والطرق المستخدمة في البحث.
- **تحليل البيئة الاجتماعية والثقافية:** العلوم الاجتماعية تسعى إلى فهم وتحليل البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان. الوضعية تساهم في فهم كيفية تأثير هذه البيئة على المعرفة والمفاهيم المجتمعية.

- دراسة المعتقدات والثقافات: الوضعية تساهم في دراسة كيفية تشكيل الوضع الاجتماعي للأفراد والجماعات للمعتقدات والقيم والثقافات. يمكن أن تساعد في فهم تفاعل الوضعية مع عمليات تكوين الهويات الاجتماعية والثقافية.
- تأثير السلطة والتمييز: الوضعية تسلط الضوء على كيفية تأثير هيكل السلطة والتمييز الاجتماعي على المعرفة والفهم. تساعد في فهم كيفية تشكيل هذه الهياكل للعلم والثقافة.
- توجيه البحوث والدراسات: الوضعية تقدم إطارًا نظريًا يمكن استخدامه في توجيه البحوث والدراسات في العلوم الاجتماعية لفهم أفضل كيفية تأثير الوضع الاجتماعي على الظواهر الاجتماعية.

الوضعية والعلوم الاجتماعية تشتركان في اهتمامهما بفهم الواقع الاجتماعي والثقافي وتأثير الوضع الاجتماعي على المعرفة والمفاهيم في المجتمع. تساهم الوضعية في توجيه البحث وتحليل البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الإنسان.

كانت ردة فعل "وضعية كونت" قوية تجاه عجز الفلسفة وبالأخص الفلسفة المثالية الألمانية الكلاسيكية في حل المشكلات الفلسفية الناجمة عن التقدم السريع في العلوم، ومع ذلك، في أوقات لاحقة، تم رفض أي تفسير فلسفي بحجة أنه لا يمكن التحقق منه عبر التجربة الموضوعي (جاستون، 2021)

## 15- المدرسة البنيوية:

خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، شهد الغرب تزايدًا في الكتابة والبحث في علم التاريخ، حيث تنوعت المواضيع والتفسيرات والمناهج المتبعة. نتيجة لذلك، ظهرت العديد من النظريات والآراء حول هذه المواضيع. واحدة من هذه النظريات

هي المدرسة البنيوية. فما هي المدرسة البنيوية؟ ومن هم أبرز ممثليها وما هو منهجها؟

### تعريف البنيوية:

في اللغة، تعبر البنية عن تكوين الشيء أو هيكله. بينما تشير في الفلسفة إلى ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتكون منها شيء ما. وفي علم النفس ترتبط بالعناصر التي تشكل الحياة العقلية من جانب وجودها الداخلي .

تتميز البنية بمفهوم خاص، وهو تطبيقها على مجموعة من الظواهر المترابطة حيث تعتبر كل ظاهرة مرتبطة بظواهر أخرى وتعتمد عليها.

يهتم المذهب البنيوي في التاريخ على البنية وليس على الأحداث الملموسة. كما يهتم بدراسة العناصر العامة أو الأحداث الكبرى في التاريخ.

في علم النفس، تأسست المدرسة البنائية على يد الهالم الألماني "وليام فونت"، وتبناها "تشنر" في الولايات المتحدة الأمريكية.

سميت بالبنائية لاهتمامها بتحليل الشعور إلى عناصره الأولية المشكلة له، أسهمت المدرسة في علم النفس بكثير من النواحي ، فقد قدمت نظاماً علمياً قوياً ،وقدمت منهج الاستبطان باعتباره منهجاً علمياً،زيادة على أن الفضل يعود لها باعتبارها السبابة في اخراج علم النفس كعلم يدرس النفس البشرية من التخمينات الفلسفية التي كانت سائدة إلى المعالجة العلمية (عيسى حسين إنصورة، 2015)

أما أهم الانتقادات التي وجهت للمدرسة البنائية في علم النفس، نذكر:  
- أهملت عملية الشعور عند الإنسان.

-عملية الإستبطان في حد ذاتها تغير في حالة الشعور، إذ لا يمكن اعتبارها موضوعية.  
-عدم القدرة على التحقق مما يقوله المفحوص، إذ يمكن أن يكون هناك اختلاف غير ملموس من طرف الفاحص بين الفكرة و التعبير (الفاخري، 2018)

### إِصْطِلاحاً:

البنية تُعرّف بأنها النظام الذي يوضح تكوين الشيء وطبيعته. كل نموذج من النماذج يحترم قوانينه الفريدة، ويُعتبر نموذجًا أو نظامًا يتضمن ثلاثة ميزات أساسية: الكلية، التحولات والتنظيم الداخلي. أي تغيير يطرأ على جزء من البنية يؤدي إلى تغيير في باقي أجزائها. البنية هي النظام الذي يدير تكوين الوحدات الكلية من جهة، وطبيعة هذه الوحدات من جهة أخرى. مفهوم البنية يُعتبر عبارة عن العلاقات الداخلية الثابتة التي تجعل الكل أكبر من مجموع أجزائه، حيث لا يمكن فهم جزء معين خارج الدور الذي يلعبه داخل النظام الكلي. دراسة البنية تسعى للكشف عن الأساس بدلاً من السطحية.

التوجه البنيوي هو منهج علمي يسعى إلى استخلاص الجوهر من الأشياء، يركز على وصف الخصائص الأساسية للأشياء وتسلط الضوء على الخصائص المميزة، وتحديد العلاقات الموجودة بين مكونات النموذج المعروف. شهد التوجه البنيوي، المعروف تألقه في العلوم الإنسانية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وكانت فرنسا هي مهد هذا التوجه. بعض الأصوات قد ادعت أن العلوم الإنسانية حققت، بفضل هذا المنهج، مصداقية علمية طالما كانت تسعى إليها. ونتيجة لذلك، أصبحت العلوم الإنسانية تُعتبر علومًا حقيقية وإنسانية في ذات الوقت.

تعارضت البنيوية مع نظريات الفينومينولوجيا والوجودية والماركسية، وهاجمت المفاهيم الأساسية التي قامت على أساسها هذه النظريات، مثل الهوية والوعي

المتمحور حول الحرية. "فردينان دي سوسير" يُعد الرأس الرئيسي والمؤسس للحركة البنيوية الحديثة، خصوصًا من خلال محاضراته حول علم اللغة، حيث أولى الأهمية لجانب "الجوهري" في اللغة على حساب "الظاهري". وقد ركز على العوامل البيولوجية، الفيزيائية، النفسية، الاجتماعية، التاريخية، والجمالية التي تتداخل وتتداخل لتشكيل نسيج النشاط اللغوي في الإنسان. أسفرت دراسته لهذه العوامل عن التمييز والتفرقة بين "اللغة" و"الكلام"، حيث اعتبر اللغة كنظام اجتماعي مستقل عن الفرد، في حين يُعتبر "الكلام" تطبيقًا فرديًا لهذا النظام. وبناءً عليه، يمكن معرفة العلاقة بين اللغة والكلام كالعلاقة بين الجوهري والظاهري، أو، بمعنى آخر، بين البنيوي والتاريخي (الدباس، 2022)

تم التطرق من خلال المنهج البنيوي إلى دراسة اللغة في مقاربة فتحت الأفق واسعة لإعادة النظر أو التطور في عدة مجالات من العلوم الاجتماعية والإنسانية، كالدراسات التاريخية. وكانت مدرسة الحوليات الفرنسية من أول المدارس التي تناولت مفاهيم ومصطلحات الدراسات اللسانية مثل: العلامة، الدالّ والمدلول، إذ اعتبرت السيميولوجيا كوسيلة لفك الألغاز الاجتماعية. وبالنسبة لعلم الاجتماع والتخصصات التي انبثقت عنها مثل الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، فقد اهتمت أكثر بالدراسات البنيوية اللسانية لأنها تقدم نظرة عميقة وواسعة في مجالات مثل تفسير ثوابت الحياة وسلوكيات الأمم والشعوب والقبائل وفهم رموز الثقافات في الفن والأساطير والعادات والتقاليد وأشكال التبادل والتفاعلات الثقافية، وكل ذلك من خلال اللغة والتعبير (الدباس، 2022)

يعتبر البنيويون كمراجع متميزة في مجالات مختلفة، منهم "كلود ليفي ستراوس" في علم الإنسان، و"جاك لاكان" في علم النفس التحليلي، و"لويس ألتوسير" في النظرية الماركسية، "رولان بارت" و"زفيتان تودوروف" في الأدب، و"جورج دوميزيل" في علم الديانات، و"ميشال فوكو" و"جاك ديريدا" في الفلسفة. ورغم أن كل واحد من هؤلاء كان له منهجه وأفكاره الخاصة، فقد كان لهم جميعًا خلفية مشتركة تتمثل في البنيوية (الدباس، 2022)

ومع اختلافات وتميز كل فكر، تبقى هناك فكرة مركزية في البنيوية، وتلك الفكرة مستمدة أساسًا من أعمال "لوفي ستراوس"، الذي قدم نظرة جديدة وثنوية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، معرفًا طريقًا جديدًا يتماشى مع فهم أعمق للواقع الإنسان. لقد أسهمت البنيوية في خلق فهم جديد للعلوم الإنسانية من خلال مرحلتها الأولى التي تميزت بتوزعها بين موضوعات وأفكار متنوعة تمتد من العلوم الإنسانية إلى العلوم الطبيعية، ومن خلال توجهاتها المرتكزة على رفضها لأفكار الطبيعة غير الملموسة. لذلك، يجب على أي تحليل للعلوم الإنسانية بوجهة نظر بنيوية أن يركز على مواجهة التحديات المرتبطة بالواقع والمفاهيم الإنسانية السائدة (Le Moigne, 2003) حُكمت البيئة التاريخية التي نشأت فيها البنيوية وتطورت بعدة عوامل رئيسية، منها:

- الأزمات التي مرت بها العلوم الإنسانية وبحثها المستمر عن شرعية علمية،
- الاضطرابات التي شهدتها نظم القيم المتفوقة في العالم وتأثيرها على الفلسفات التي تركزت في فهم جوانب الإنسانية،
- الانجراف نحو فهم الظواهر المميزة دون النظر في السياق العام".

-عجز الإنسان في التحكم بمصيره بوضوح من خلال التحديات التي واجهها، مثل الأزمة الاقتصادية في 1929 و مختلف الأزمات و الحروب. هذه الظروف جعلت العديد من المفكرين يشككون في قدرة الإنسان وفي ما إذا كان التقدم الذي يُحدث عنه حقيقة أو مجرد وهم.

-عمقت الفلسفة في فهم دور العقل من خلال اللغة، حيث أصبح من المعترف به أن الجدل الفلسفي في القرنين العشرين تمحور حول فهم اللغة وتعقيدها. اللغة تعد من أكثر الظواهر تعقيداً، فلا يمكن للكائن أن يكون بدون لغة ولا إنسان بدون لسان. وكان لعلم اللسانيات، بريادة "فرديناند دي سوسير"، دوراً كبيراً في تطوير هذه الفهم.

-قدم "فرويد" نظرة جديدة للنفس البشرية من خلال التطرق لمفهوم اللاوعي، أو ما يُطلق عليه اللاشعور، الذي يؤثر في سلوك الإنسان.

-بعد الحرب العالمية الثانية، ومع استقلال كثير من المستعمرات وتزايد التفاعل بين العالم المتقدم والدول الناشئة، بدأ العديد من المفكرين الغربيين في استكشاف ثقافات ومفاهيم جديدة تقدم رؤى مختلفة عن المفاهيم التي كان يعرفها الأوروبيون والأمريكيون (أسدي، 2015)

تعتبر اللغة الميدان الأساسي الذي انبثقت منه دراسات الإنسان، حيث استنبطت منها مفاهيم متعلقة بموضوعات مثل علاقات القرابة، الأديان، الاقتصاد، والفلكلور.

أبرز "دي سوسير" أن اللغة تتألف من رموز وعلامات لا تمتلك معانٍ ثابتة بذاتها، بل هي مستقلة عن إرادة الفرد. وأوضح أن كل مجموعة من الأصوات لها معاني محددة في لغة معينة، وقد يكون للصوت ذاته معانٍ مختلفة في لغات أخرى. وهذا يشير إلى أن المعنى لا يتبع الصوت نفسه، ولكن يرتبط بالعلاقات بين الأصوات. وقد أسس

"دي سوير" لدراسة اللغة من منظور آني وتزامني، مؤكداً على أهمية فحص حالة اللغة في الزمن الراهن بدلاً من التركيز على تاريخها وتطورها. اللغة مثل لعبة الشطرنج، حيث يكفي معرفة قواعدها للتفوق فيها، دون الحاجة للإلمام بأصولها وتاريخها (طويلب، 2022)

تُعرّف البنية لغة كوسيلة يشبه بها بناء شيء ما. وهي تُظهر التعاضدية التي تمثل أساس بناء اللغة، سواء من الناحية الهندسية أو الجمالية. من الزاوية الفلسفية، تُعتبر البنية مجموعة من العلامات التي تكون متكاملة ومتضادة في نفس الوقت، حيث تُشكل هذه العلامات نظاماً داخل إطار اللغة. لا يمكن فهم أي علامة من هذه العلامات دون النظر في علاقتها بالعلامات الأخرى. (طويلب، 2022)

تشكل علاقات القرابة الدموية، الأساطير، والاقتصاد جملة من العلامات التي تتضمن ثنائيات متضادة مثل ذكر-أنثى وصحيح-خاطئ. يميز البنيويون بين ما هو ثابت ولا يتغير مع الزمن، وبين ما هو متغير أو متطور. لا تقوم فكرة البنيوية إلا على ما هو ثابت، بينما ما هو متغير لا تعطيه قيمة كبيرة. البنيوية تسعى للبحث عن الثوابت والعناصر الدائمة، ويمكن القول أن البنيوية تعارض فكرة علم التاريخ، لأن علم التاريخ يعتبر علم التغير المستمر.

تُمثل البنيوية نهجا استقرائيا يسعى لاكتشاف الأنماط الغير واضحة التي يمكن الوصول إليها عبر المعطيات الظاهرية في مجالات متنوعة من الثقافة مثل ديناميات القرابة، الأساطير، الرموز، المنتجات الثقافية، والأيدولوجيات السياسية، بالإضافة إلى ممارسات الطهي وتصنيفات النبات. بكل تأكيد، خلف كل مظاهر ثقافية يقوم

الإنسان بتطبيقها أو ممارستها، هناك نسيج ثقافي يُمثل أساساً للتعبير. الإنسان قد ظن فيما مضى بأنه محور الخطاب، ولكن اكتشف أن الخطاب هو من يحدد موقعه.

تؤيد البنيوية الرؤية الماركسية التي تُظهر أن الحقيقة الأساسية للتناقضات الإنسانية تكمن تحت غطاء الأيديولوجيا، كما توافق النظرية الفرويدية التي تشير إلى أن الإنسان غير واعٍ بكثير مما يعتقد، والعواطف الباطنية لها تأثير كبير على قراراته. البنيوية تتفق أيضًا مع علوم الطبيعة في فكرة أن التنوع البشري يُمكن تقليده إلى مجموعة من العناصر والقوانين الأساسية. وربما أحرزت البنيوية تقدمًا كبيرًا في مجال اللغة، ولهذا نجد البنيويين يترددون في قول "كل شيء هو لغة".

تتناقض البنيوية بقوة مع الفكرة التي تؤكد على أن الإنسان يصنع تاريخه بإرادته الحرة. وبدلاً من ذلك، تعتقد البنيوية أن البشر هم نتاج أفكارهم، وأن أعمالهم ليست نتيجة لخيارات حرة واعية، بل هي نتائج للقوى الكامنة في أذهانهم. ومن هذا المنطلق، تعتبر البنيوية أن البشر مجرد وسيلة في يد القوى الكبرى المحددة. كتب "كلود ليفي-ستروس" في عام 1949 مقالاً بعنوان "التاريخ والأنثروبولوجيا"، حيث أشار إلى أنه يجب على المؤرخ التركيز على ما هو ملموس وما يمكن ملاحظته، والاكتفاء بدراسة التصرفات الملحوظة في سلوك الإنسان، لأنه غير قادر بطبيعته على فهم العمق الحقيقي للمجتمع. أما الأنثروبولوجيا، فهي قادرة - حسب رؤيته - على تحليل المفاهيم واكتشاف الأبعاد المعقدة للحياة الاجتماعية .

### 15-1 البنيوية و التاريخ:

انتقدت البنيوية النظرة التقليدية للتاريخ التي تعتبر أنه مجرد سلسلة من الأحداث المعزولة عن الزمن. لهذا السبب، قدم "كلود ليفي ستروس" نظرة جديدة عن التاريخ

في مجموعة من أعماله، مثل "البنى الأولية للقرابة" في 1948، و"مدارات حزينة" في 1955، و"الأنثروبولوجيا البنيوية" في 1958، و"الفكر المتوحش" في 1962، و"الني والمطبوخ" في 1964، وغيرها من الأعمال.

ركز "ليفي ستروس" في دراسته على فحص الثقافات الأولية من منظور متزامن، مع التركيز على العلاقات بين مكوناتها المختلفة، بغض النظر عن التاريخ أو الأشخاص المعاصرين. اعتقد أن الاختلافات بين الثقافات هي في الأساس مجرد تجليات مختلفة لنفس البنية الأساسية، التي قد تكون صعبة الفهم بسبب التأثيرات البنيوية المعقدة. كما أوضح "ليفي ستروس" أن القرابة هي الأساس الذي يبنى عليه المجتمع.

تحدد علاقات الأشخاص مع بعضهم البعض من خلال تبادل مختلف القيم، وهذه العلاقات تأخذ شكلاً مشابهاً لشكل اللغة. فكما تعتبر اللغة وسيلة لتبادل الأفكار والكلمات، يعتبر الزواج وسيلة لتبادل الشركاء، والاقتصاد وسيلة لتبادل السلع. هذه الأنماط المتشابهة تمثل بنى ثابتة في الزمن وتؤثر في سلوك البشر دون أن يكونوا واعين بذلك، والعنصر المشترك بينها هو التبادل. ووفقاً لكلود ليفي-ستروس، التبادل هو العامل الأساسي الذي سمح للإنسان بالانتقال من حالة التوحش والطبيعية إلى حالة الثقافة والحضارة. تعكس القوى التي تدير التبادل، سواء كانت على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي، بعد "اللاوعي" المشابه للنظام الذي يحكم بنية اللغة (طويلب، 2022)

## 15-2 إسهام البنيوية:

استفادت البنيوية من الإحتكاك بتخصصات معرفية أخرى، وتلاشت الحدود بين المعرفة التي قدمتها وبين العلوم الإنسانية المختلفة، وذلك بسبب تأكيدها على وجود

منهجية واحدة تُطبق على كافة العلوم الإنسانية. حاولت البنيوية التقليل من تأثير المفاهيم البنيوية في التاريخ، مؤكدة أن التطور البشري يمر بمراحل متقاطعة ومنتالية في الزمن، ورغم ثبات البنية في بعض الأحيان، إلا أنها تتأثر بالتطور حتى لو كانت دائمة. لذا، تعتبر البنيوية أن كل الشعوب لها تاريخ، حتى الشعوب البدائية، وتذهب بعيداً لتجاوز التصنيفات التي أقامها البعض للشعوب، مثل وصفها بـ"الباردة" أو "بلا تاريخ" وغيرها بـ"الحارة" و"التراكمية" (أبراش، 2009)

أما الاتجاه الذي أظهره المؤرخ البنيوي فقد كان نحو دراسة علاقات القرابة، أسس الزواج، الفنون والأساطير، مع التركيز على الخيال البشري وهو ما لا يتغير بسهولة، وهذه القضايا لم تكن تُعطى الاهتمام الكافي في التاريخ الماضي. - لعبت البنيوية دوراً مؤثراً في الأدب الفرنسي، خصوصاً في مجلة "الحوليات" الشهيرة خلال السبعينات من القرن العشرين، حيث قدمت مقالات ذات طابع بنيوي ذات جودة عالية.

### 3-15 نقد البنيوية:

على الرغم من الإسهامات التي قدمتها البنيوية، فإن هناك نقاط تستحق النقد حيالها:

- تجاهلها لعمق التاريخ وتطوره والدياكرونية، مع تركيزها على اللامتغيرات والتاريخ الجامد.
- رغم أن وجود البنية لا يمكن التشكيك فيه، إذ تكمن الصعوبة في كيفية استخدامها وعلى أساس. ما أتت به البنيوية في هذا الجانب ما هي إلا مبادئ ليس لها القدرة على تغطية الواقع بشكل كامل.
- اهتمامه المفرط بالواقع الداخلي للأمور، وتحويل التاريخ في نظر المؤرخ البنيوي إلى سلسلة من الأحداث المتتابعة والمستقلة، دون النظر إلى التداخلات بينها.
- انغماس المؤرخ البنيوي في تحليل البنية حتى وصل إلى الإغراق في نظريات بعيدة عن الواقع الإنساني.
- انتقدت البنيوية لسقوطها في فخ اللإنسانية حيث أصبح الإنسان مجرد دمية في يدي البنية، واستغناءها عن الفرد ككائن حر ومسؤول.
- انحراف المنهج البنيوي من كونه أداة علمية إلى نظريات تشبه الميتافيزيقا.
- تلاشى البريق الذي لاقته البنيوية في بداياتها مع مرور الزمن، وأصبح العديد من أتباعها ينظرون إليها بنظرة نقدية يميزها القصور (بحري، 2015)

## 16- المدرسة الوظيفية:

مؤسس هذه المدرسة هو الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس (1842-1910). بدأ تكوينه في الطبّ لكن المرض الذي ألم به دفعه إلى تغيير اهتمامه نحو علم النفس. تأثرت أفكار جيمس بأفكار داروين حول نظريته في الاختيار والانتقاء الطبيعي، تفسر هذه النظرية تطور الكائنات الحية واستمراريتها عبر الزمن من خلال عملية الاختيار

الطبيعي. حاول "جيمس" تطبيق هذه النظرية على الإنسان ولاحظ أهمية الوعي والشعور في تمييز الإنسان.

أكد "جيمس" على ضرورة أخذ وظيفة الشعور بدلاً من تركيبه موضوعاً لعلم النفس، كما قام بانتقاد المدرسة البنائية، التي أهملت حسب نظره الجوانب الشعورية الجوهرية، والتي تتألف من العناصر وتصل في النهاية إلى نقطة ثابتة تحد من التدفق المستمر للأفكار. ببساطة، كان "جيمس" يسعى إلى دراسة وفهم هذا التدفق نفسه الذي أطلق عليه اسم "تيار الوعي" (عيسى حسين إنصورة، 2015)

وبالتالي، فقد أظهرت المدرسة الوظيفية في علم النفس اهتماماً أكبر بالأفراد وكيفية تكيف سلوكهم مع العالم الحقيقي، قامت بطرح مواضيع جديدة تخدم الفرد و المجتمع، مثل دراسة نمو الأطفال واختبارات العقلية والطرق التربوية والبيداغوجية والاختلافات في السلوك بين الجنسين، إذ شهد تطبيقها في المجال التربوي تأثيراً واسعاً.

من منظور فلسفي، نجد أنّ الوظيفة هي المهمة المُحددة التي يختصّ بها شيء ما أو يؤدّيها شخص ما داخل نظام معين مكون من أجزاء مترابطة، مثل وظيفة الباب و النوافذ في المسكن، أو دور القلب في فيزيولوجيا العضوية، أو الوظائف العقلية المثل التخيل في علم النفس، ووظيفة النقد، أو دور المعلم في النظام التربوي.

في علم البيولوجيا، تُشير الوظيفة إلى المهام الأساسية التي تُعتبر ضرورية لاستمرارية الحياة، مثل التغذية والحركة والتكاثر. أما في علم النفس، فهي تشير إلى سلسلة من الأسباب والأفعال التي تُوجه نحو هدف معين، كالإدراك والتفكير وغيرها. وفي علم

الاجتماع تتعلق الوظيفة بالأعمال أو المهن التي تُعتبر ضرورية لاستقرار المجتمع، ويمكن تقسيمها إلى وظائف خاصة يمارسها الأفراد، ووظائف عامة يمارسها النظام الحكومي، مثل وظائف الأمن والدفاع.

أما الوظيفي، فهو ما يتعلق بالوظيفة، مثل "علم النفس الوظيفي" الذي يُركز على دراسة العمليات الذهنية من حيث كيفية تحقيق أهداف معينة. والرؤية الوظيفية هي تلك التي تعتبر أن ممارسة وظيفة معينة أمر ضروري لتطورها.

أحد المفاهيم في علم الجمال هو أن جودة العمل الفني يمكن رؤيتها من خلال فائدته. وهذه الفكرة تُعرف بـ"الوظيفية"

### 1-16 الجذور التاريخية للوظيفية:

بعد أن أسس "أوغست كونت" علم الاجتماع، بدأ هذا العلم في التفرع إلى فروع متعددة. "كونت" الذي سُمي علم الاجتماع بالعلم الاجتماعي الحديث، كان يرى فيه بداية للنهج الأكاديمي في الاجتماع. أما "ماركس"، فقد اتجه نحو النظرية المادية التاريخية التي كانت لها صلة بالمجال.

شهد علم الاجتماع الأكاديمي في القرن التاسع عشر تطورًا تحت تأثير المنهج الوضعي، مع مشاركة شخصيات مثل "هربرت سبنسر" إلى جانب "أوغست كونت". هذا التطور شهد انفصلاً بين نظرية الاجتماع والبحوث الإمبريقية. سعى الإتجاه النظري إلى تحديد المراحل الأساسية في تاريخ التطور البشري ووصف طبيعة المجتمع، حيث استعان "سبنسر" بهذا المنهج. هناك من يرى أن علم الاجتماع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان يهتم بشكل أساسي بالجوانب الموسوعية، متناولاً تاريخ الإنسان ومجتمعه بشكل شامل، كان يميل نحو التاريخية المتأثرة

بفلسفة التاريخ ومدعومة بالنظرية التطورية. العلوم الاجتماعية في القرن الثامن عشر كانت أكثر ميلا إلى الاعتماد على نماذج الفيزياء، بينما علم الاجتماع في القرن التاسع عشر كان يميل نحو النموذج البيولوجي، باستثناء النظرية الاجتماعية التي طرحها "ماركس" (طويلب، 2022)

حاولت الوظيفية ربط الأميريكية بالإتجاهات النظرية ، و سعت أيضًا لإيجاد توازن بين مختلف الجوانب النظرية لعلم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. كانت تجمع بين أفكار "سبنسر" و "دوركهايم" و "ماكس فيبر"، إلى جانب النظرة الأميريكية لـ "كونت". من الممكن القول أن الوظيفية تضمنت بعض أفكار "سبنسر"، لكنها كانت تحتوي على بعض التناقضات. بالنسبة لـ "سبنسر" هناك تقدير لدور البيولوجيا واختلافها في البنية والوظيفة، وقد انتشرت مفاهيمه في علم الاجتماع المعاصر. على الجانب الآخر، يتضح تأثير "دوركايم" القوي، حيث ارتبطت الوظيفية نظريًا بأعماله المتعلقة بالتفسير الوظيفي (طويلب، 2022)

يظهر مما سبق كيف تطورت الأفكار والنظريات في علم الاجتماع وكيف تأثرت بأعمال المفكرين السابقين.

تم تأكيد بعض المفاهيم الوظيفية من خلال أعمال "رادكليف براون"، إذ استفادت الأنثروبولوجيا الاجتماعية منها عمومًا، وخصوصاً في محاولة الكشف عن العناصر الضعيفة داخل النسيج الاجتماعي. وعقد "رادكليف" وصلة بين مفهوم الوظيفة في البنى الاجتماعية وفي البيولوجيا. وهو ما يتضح في إشارته إلى أنّ التركيب العضوي كتركيب حي، يعتمد في وجوده المستمر على العمليات التي تقوم بها الحياة. وعند الإشارة إلى البنى الاجتماعية وتفسيرها، فإن استخدام مفهوم الوظيفة يشابه

استخدامه العلمي في الفسيولوجيا. يمكن استعماله للإشارة إلى العلاقة المتبادلة بين البنية الاجتماعية ومفهوم حياة الأفراد. مفاهيم العملية والبنية الوظيفية، هي مكونات نظرية تسعى لتوضيح البنى الاجتماعية. وتم الاستفادة من مفهوم الوظيفة، المستمد من علم البيولوجيا، للتعرف على الطريقة التي تمر بها الكائنات الحية لتحافظ على استمراريتها، وهذا المفهوم يعتمد على فكرة التفاعل والتعاون بين الأجزاء المكونة للنظام الاجتماعي، حيث كل عنصر يقوم بوظيفة معينة لضمان استقرار واستدامة النظام (الزيباري، 2017)

### 16-2 الوظيفة والمجتمع:

العلماء الوظيفيون يرون المجتمع كشبكة من النظم المترابطة، مثل الزواج والدين، حيث تكون هذه النظم مرتبطة ومعتمدة بعضها على بعض. ووفقاً لهذه الرؤية، أي تغيير في نظام معين قد يؤدي إلى تغييرات في النظم الأخرى.

### 16-3 مبادئ الوظيفة:

-قامت المدرسة الوظيفية في الولايات المتحدة كمدرسة متقدمة للمدرسة البنائية.  
-يُعدّ "وليم جيمس" من الرواد في علم النفس الفسيولوجي، "تالكوت بارسونز" في علم الاجتماع، و"رادكليف براون" في علم الإنسان.  
-من الضروري الالتزام بأساليب البحث العلمي.

-تعارض الفكر البنائي من خلال رفض تقسيم الخبرة الشعورية إلى عناصر، معتبراً أنها لا تخضع لقوانين ميكانيكية. بالتالي، لا يمكن اعتبار الخبرة الذاتية مجرد تجميع للإحساسات المتتابعة.

-في المقابل، يعتقد "وليم جيمس" أن علم النفس يدرس الوظائف العقلية، مشددًا على أن الخبرة العقلية هي عملية مستمرة واختيارية.

-يعتبر "جيمس" أن الخبرة الشعورية كسيل من الأحداث ناتجة عن عوامل خارجية وأن الإنفعالات ناتجة عن تغييرات فيزيولوجية.

-لا يمكن فصل الجسد عن العقل؛ فهما يعملان كوحدة متكاملة أجزاؤها (صابر، 2009)

ترك "وليم جيمس" أثرًا عميقًا في تطور المدارس الوظيفية في أمريكا، كمدرسة شيكاغو التي ركزت على دمج علم النفس بالحياة اليومية وكان من أبرز روادها "جون ديوي" و"جيمس أنجل"، وكذلك مدرسة كولومبيا التي تأثرت بفكر "جيمس" وبتطور العلوم الطبيعية في بريطانيا خصوصًا نظرية "داروين" التطورية، إذ كانت فكرتها الأساسية تركز على التوافق ومن أبرز روادها "كاتل" الذي أسس لعلم قياس الذكاء وتطبيقاته، و"ثورنديك" الذي ركز على تطبيقات علم النفس في التعليم.

#### 6-1-4 إنتقاد المدرسة الوظيفية في علم النفس:

- إهمال الجانب العاطفي: ينتقد البعض المدرسة الوظيفية لجيمس بأنها تعطي أولوية لدراسة السلوك والوظيفة على حساب العواطف والمشاعر. تعتبر هذه النقطة نقصًا كبيرًا في النهج الوظيفي.

- التبسيط الزائد: يعتبر بعض النقاد أن المدرسة الوظيفية تبسط العقل البشري بل وتفطر في ذلك. يُظهر البعض أن هذا التبسيط يقلل من القدرة على فهم العواطف والتجارب الإنسانية بشكل أعمق.
- عدم مراعاة التنوع الثقافي: يُعتبر أن نهج المدرسة الوظيفية يعتمد بشكل كبير على الدراسات الإجرامية مما قد يؤدي إلى التجاهل التام للتنوع الثقافي والاجتماعي في تفسير السلوك البشري.
- التركيز الزائد على السلوك الملموس: يعتبر البعض أن المدرسة الوظيفية تُعطي أهمية كبيرة للسلوك الملموس والقابل للقياس وتتجاهل الجوانب النفسية والعقلية التي هي أيضًا مهمة لفهم الإنسان.
- الإنكار النسبي للعوامل الوراثية: تعتمد المدرسة الوظيفية بشكل كبير على التأثيرات البيئية والاجتماعية على السلوك البشري، وفي ذلك تجاهل وإهمال للأثر الوراثي في بعض السمات البشرية (صابر، 2009)
- على الرغم من هذه الانتقادات، يجدر بالذكر أن مدرسة جيمس الوظيفية لها مكانة مهمة في تاريخ علم النفس، وقد ساهمت في تطوير الفهم حول السلوك البشري ووظيفته.

## قائمة المراجع

- الخولي يمنى طريف. (2021). مفهوم المنهج العلمي. مؤسسة هنداوي.
- عمر محمد زيان. (1975). البحث العلمي، مناهجه وتقنياته. جدة: مطبعة خالد حسن الطرابيشي.
- إبراهيم أبراش. (2009). المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الإجتماعية. عمان- الأردن: دار الشروق للنشر و التوزيع .
- أحمد الداھري، ص. (2011). أساسيات القياس النفسي في الإرشاد والصحة النفسية. المنهل.
- أحمد بدر. (2008). أصول البحث العلمي و مناهجه. الكويت: المكتبة الأكاديمية.
- احمد سليم البرصان. (2015). علم السياسة. زهران للنشر.
- أحمد لطفي بركات. (1967). فلسفة الوضعية المنطقية والتربية: تطبيقات تربوية في المجتمع الإشتراكي العربي. القاهرة. دار النهضة العربية للنشر و التوزيع.
- التحتاني قطب ، و محمد بن محمد. (1864). هذه رسالة في تحقيق معنى التصور والتصديق. مطبعة الدولة التونسية.
- بوتول جاستون. (2021). تاريخ علم الاجتماع. (عبدون غنيم، المترجمون). مصر. وكالة الصحافة العربية.
- ج.ج كراوثر. (1999). قصة العلم (المجلد 2). (الهيئة المصرية العامة للكتاب، المحرر، طريف الخولي يمنى ، و عبد الفتاح بدوي ، المترجمون) القاهرة: مكتبة الأسرة.
- خليفة صابر. (2009). مبادئ علم النفس. عمان-الأردن: دار أسامة للنشر و التوزيع.
- سالم عبد الله الفاخري. (2018). علم النفس العام. عمان. مركز الكتاب الأكاديمي.
- سامر فاضل عبد الكاظم أسدي. (2015). البنيوية وما بعدها: النشأة والتقبل. عمان. دار المنهجية للنشر والتوزيع.
- سلامة كيلة. (2008). نقد الماركسية الرأجعة: مناقشة لافكار د. رفعت السعيد. الوعي الجديد.
- صادق يوسف الدباس. (2022). قضايا لغوية حديثة. لبنان: دار الكتب العلمية.

- طاهر حسو الزبياري. (2017). النظرية السوسيولوجية المعاصرة. بيروت: دار البيروني للنشر والتوزيع.
- طريف الخولى يمنى . (2017). مشكلة العلوم الإنسانية - تقنيها وإمكانية حلها. مصر. نيويورك للنشر والتوزيع.
- عبد الباسط محمد حسن. (1998). اصول البحث الاجتماعي. مصر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر.
- عبد الرحمن بدوي. (2020). مناهج البحث العلمي. بيروت / لبنان: دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع .
- عبد القادر طويلب. (2022). مقياس مدارس ومناهج. تيارت: جامعة ابن خلدون.
- علي المحمودي، و محمد سرحان. (2019). مناهج البحث العلمي (المجلد 3). صنعاء: دار الكتب.
- علي عبود المحمداوي. (2014). الماركسية الغربية و ما بعدها، التأسيس و الإنعطاع و الإستعادة. بغداد: دار و مكتبة عدنان.
- عمران صورية. (15, 01, 2015). الاستقراء في فلسفة العلوم. مجلة الراصد العلمي، 02(01)، الصفحات 153-164.
- فاروق عبد المعطي. (1993). أوجست كونت - مؤسس علم الاجتماع الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية.
- فاروق الباز. (1998). العالم العربي وبحوث الفضاء: أين نحن منها؟. الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية.
- فلاح الزعبي علي ، و حسين الوادي محمود . (2011). أساليب البحث العلمي: مدخل منهجي تطبيقي. عمان: دار المناهج
- فؤاد خليل. (2010). الماركسية في البحث النقدي: الراهنية، التاريخ، النسق. بيروت: الفارابي للنشر و التوزيع.
- فؤاد أحمد أبو شنار. (2023). المنهج الإكلينيكي (الفحص النفسي والمقابلة العيادية). عمان: دار اليازوري للنشر و التوزيع
- كارل ماركس، و فريدريك أنجلز. (2016). الإيديولوجية الألمانية: مصادر الإشتراكية العلمية. (فؤاد أيوب، المترجمون)، دمشق: دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع

محمد الأمين بحري. (2015). *البنوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية: دراسة في نقد النقد*. لبنان: مكتبة مؤمن قريش.

مصطفى دعمس. (2008). *منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية دبي: المنهل*.

مصطفى نمر دعمس. (2015). *منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية*. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.

نجاه عيسى حسين إنصورة. (2015). *أساسيات وأصول علم النفس*. القاهرة: كنوز.

Angers, M. (2014). *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines* (Vol. 6). Quebec. Les éditions CEC.

David C, L., & Michael H, S. (2013). *The Cambridge History of Science* (Vol. 2). Cambridge University Press.

Degand, L. (1988). *Abstraction, figuration: langage et signification de la peinture*. Paris. Editions Cerle d'art.

Eugene , Z., John , S., & Jeanne , Z. (2011). *Research Methods In Psychology* (9 ed.). McGraw-Hill Education.

Fortin, M.-F., & Gagnon, J. (2010). *Fondements et étapes du processus de recherche: méthodes quantitatives et qualitatives* (éd. 2). Montréal. Chenelière éducation.

Gangloff, B. (2008). *Les Fondements méthodologiques du savoir scientifique*. Presses universitaires de Rouen et du Havre.

Gouhier, H. (1997). *La vie d'Auguste Comte*. Paris. Vrin.

Ibert, J., Baumard, P., Donada, C., & Jean-Marc , X. (1999, janvier). La collecte des données et la gestion de leurs sources. . *Méthodes de recherche en management*, 261-296.

- Kouassi Roland, R., & Guy Roger, A. (2000). *cours d'initiation à la méthodologie de recherche*. Récupéré sur [www.memoireonline.com](http://www.memoireonline.com):  
[https://www.memoireonline.com/12/19/11386/m\\_Conception-et-realisation-d-une-application-web-de-la-gestion-de-recrutement-militaire-pour-le-cas4.html](https://www.memoireonline.com/12/19/11386/m_Conception-et-realisation-d-une-application-web-de-la-gestion-de-recrutement-militaire-pour-le-cas4.html)
- Lavarde, A.-M. (2008). *Guide méthodologique de la recherche en psychologie*. France. De Boeck Supérieur.
- Le Moigne, J.-L. (2003). *Le constructivisme: Modéliser pour comprendre*. Paris. L'Harmattan.
- Martineau, S. (2005 ). *L'observation en situation : enjeux, possibilités et limites*. Récupéré sur [www.recherche-qualitative.qc.ca](http://www.recherche-qualitative.qc.ca): [http://www.recherche-qualitative.qc.ca/documents/files/revue/hors\\_serie/hors\\_serie\\_v2/SMartineau%20HS2-issn.pdf](http://www.recherche-qualitative.qc.ca/documents/files/revue/hors_serie/hors_serie_v2/SMartineau%20HS2-issn.pdf)
- Mirko, D. (1973). *Raisonnement expérimental et recherches toxicologiques chez Claude Bernard*. Suisse. Librairie Droz.
- Plekhanov, G. (2008). *Les questions fondamentales du marxisme*. Paris. éd du sandre.
- Robert , T., & Perrier, Y. (2006). *Savoir plus: outils et méthodes de travail intellectuelle*. Montréal. Chenelière Éducation.
- Roger, A., & Roland Raoul, K. (2000). *cours d'initiation à la méthodologie de recherche*. Récupéré sur  
[https://www.memoireonline.com/12/19/11386/m\\_Conception-et-realisation-d-une-application-web-de-la-gestion-de-recrutement-militaire-pour-le-cas4.html](https://www.memoireonline.com/12/19/11386/m_Conception-et-realisation-d-une-application-web-de-la-gestion-de-recrutement-militaire-pour-le-cas4.html)
- Tremblay, R., & Perrier, Y. (2006). *Savoir plus: outils et méthodes de travail intellectuel* (Vol. 2). Montréal. Chenelière Éducation.

